عـود الـنـد: افتتاحيات ومقالات - الجزء الثاني

كلمات عـود الـنـد

الأدب والفن في الصراع الأيديولوجي والسياسي

المركزية الأوروبية: بين الفرض والرفض

المرأة والسلام

دور النشر والجوائز

الكتابة المحايدة جندريا

تقييم الشعراء والأدباء

ثـقـافـة الـصـورة: ما لها وما عـلـيـها

الفقر والعدالة الاجتماعية

توظيف الواقع في الروايات

ظاهرة اليساريين سابقا

المكتبات الرقمية ضرورة

حقوق المرأة في الغرب والشرق

تصنيف الكتب والألعاب على أساس الجنس

عـدلي الهـواري

Kalimat Oud Nad

Adli Hawwari

عـود الـنــد: مجلة ثقافية رقمية. صدر العدد الأول منها في مطلع حزيران 2006. ناشرها ورئيس تحريرها د. عدلي الهواري. في تشرين الثاني 2007 حصلت المجلة مـن المكتبة البريطانية عـلى الرقم الدولي للدوريات، وهـو: ISSN 1756-4212. شارك في المجلة كاتبات وكتاب من دول المغرب العربي ومشرقه والمهجر. طبقت المجلة معايير جودة تشمل مراجعة النصوص قبل نشرها، ومارست عملها في خدمة الثقافة على أساس غير ربحي وغير تجاري، المجلة مفتوحة للتصفح دون قيود، وخالية من الإعلانات. عنوان موقع المجلة في الإنترنت: oudnad.net.

عـدلي الـهـواري: دكـتـوراه في الـدراسـات السياسية، جامعة وستمنستر، لندن. معد ومقدم ومنتج برامج إذاعية، 1987-2003. له مجموعة من الكتب بالعربية وبالإنجليزية، منها «بيروت 1982: اليوم ي»؛ «الديمقراطية والإسلام في الأردن»؛ «تقييم الديمقراطية في الأردن»؛ «المجلات الثقافية الرقمية»؛ «الحقيقة وأخواتها»؛ «اتحاد الطلبة المغدور» الذي وثـق فيه تجربة تأسيس وانهيار الاتحاد العام لطلبة فلسطين في الولايات المتحدة الأميركية.

مقالات ثقافية

Editorials
Ud al-Nad
UK £6.5

ISBN 978-1-911431-06-0
9 781911 431060 >

كلمات عود الند

مقالات ثقافية وفكرية

النسخة الرقمية

عـدلـي الهواري

عود الند

2021

First published in the United Kingdom 2016 by
Ud al-Nad Ltd
11 White Heart Avenue, Uxbridge UB8 3EP
Copyright © Adli Hawwari, 2016, 2021
All rights reserved
First digital edition
Printed in the United Kingdom

Adli Hawwari has asserted his right under the Copy, Design and Patents Act 1988 to be identified as the author of this work.

ISBN: 978-1-911431-06-0

www.oudnad.net
info@oudnad.net

كلمات عـود الـنــد
مقالات ثقافية وفكرية
عـدلي الهـواري
النسخة الرقمية الأولى 2021

جميع الحقوق محفوظة © عدلي الهواري

عـود الـنـد
لندن، بريطانيا

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال إلا بإذن خطي مسبق من الناشر.

المحتويات

مقدمة النسخة الرقمية 8
شــكـر وتقـديـر 11
المـقـدمـة 12

الثقافة والتعليم واللـغـة العـربـيـة

تقييم الشعراء والأدباء..... 16
دور النشر والجوائز..... 19
توظيف الواقع في الروايات 24
التسامح والمساواة والآخر في ندوة أدونيس..... 27
الأدباء والمخابرات: مرصودون ومتعاونون 32
الأدب والفن في الصراع الأيديولوجي والسياسي..... 35
تجدد الجدل حول العربية الفصحى والعامية 38
المكتبات الرقمية ضرورة..... 41
المكتبة الجامعية المفتوحة دائما..... 44
التعليم بالعامية ونسب النجاح المتدنية 47
نحو الارتقاء بمستويات التعليم 51
الحق في التعليم في المواثيق الدولية..... 55
المرأة والسلام..... 59

الكتابة المحايدة جندريا.....63
حقوق المرأة في الغرب والشرق 67
تصنيف الكتب على أساس الجنس 71
الفقر والعدالة الاجتماعية 74
العقلية التجارية والمناسبات الدينية 80

شؤون سياسية وفكرية

كيف تقاوم مشروعا استعماريا؟ 84
التياران الإسلامي والعلماني وهزيمة 1967 90
ظاهرة اليساريين سابقا.....95
عن القانون واستقلال القضاء.....97
عن سمات الجنرالات 100
ثلاث سنوات على محاولات التغيير في العالم العربي..... 104
خمس سنوات على محاولات التغيير في العالم العربي..... 108
القول الفصل للسلطة التي تمثل الشعب..... 111
التمسك بالمبادئ يثمر ولو بعد حين 115
الاحتكام للضمير لتبرير الحرب 119
المركزية الأوروبية بين الفرض والرفض..... 123

قضايا إعلامية وهموم أكاديمية

ثقافة الصورة: ما لها وما عليها..... 129
التحريض في برامج الدردشة..... 135
الصحافة والإنترنت: نهاية العصر الورقي 138
الكوميديا الجديدة والشبابية في عصر يوتيوب 141
هموم أكاديمية: مراجعة الأدبيات..... 146

هموم أكاديمية: النظرية/الإطار النظري..... 149
هموم أكاديمية: المنهجية..... 153
هموم أكاديمية: دراسة الحالة 157
هموم أكاديمية: النموذج 160

عــود نــديـات

عـود الـنـد تبدأ سنتها الثامنة..... 164
عـود الـنـد تتم سنتها الثامنة..... 167
عـود الـنـد تبدأ سنتها التاسعة 170
عـود الـنـد تضيء 100 شمعة 172
عـود الـنـد تكمل سنتها التاسعة..... 175
عـود الـنـد تكمل عامها العاشر..... 178
هـوامش ومراجع 181
إصدارات **عـود الـنــد** 187

مقدمة النسخة الرقمية

صدرت الطبعة الورقية الأولى من هذا الكتاب في عام 2016 احتفاء بمناسبة إكمال مجلة **عود الند** الثقافية عشر سنوات من النشر الشهري المنتظم. مثّل صدور **عود الند** في عام 2006 ميلاد مجلة رقمية تضاهي جودتها أرقى المجلات الورقية في ذلك الوقت وقبله. في ذلك الحين كان الاستخفاف بالنشر الرقمي منتشرا، ولم يكن النشر الرقمي يأخذ نمط المجلة الدورية، بل كان معتمدا على النشر في المواقع المتجددة دائما والمنتديات.

خالفت **عود الند** هذه الأنماط المنافية للنشر المتسم بالجودة، فاستفادت من ميزات النشر الرقمي لإصدار مجلة دورية تصدر في موعد محدد كل شهر وتطبق معايير جودة، مثل مراجعة النصوص قبل نشرها، واعتماد سياسة نشر الجديد والحصري.

رغم أن **عود الند** تحولت بعد عقد من النشر الشهري إلى مجلة فصلية تصدر أربع مرات في السنة، إلا أن الجودة التي عرفت بها ظلت السمة المميزة لها. ولا تزال مستمرة في الصدور، وهذا إنجاز كبير بالنظر إلى أن هذه المجلة مبادرة فردية وصدرت بانتظام تحسدها عليه المؤسسات.

سـأكرر القـول هنـا مـا سـبق أن قلتـه مـرات عـدة، وهـي أن المفاضلـة بـين الورقـي والرقمـي مفاضلـة عقيمـة، وبعـد أن اكتسـح وبـاء كورونـا العـالم وشـل الحركـة فيـه نحـو عامـين، يخطـئ مـن يواصـل الحديـث عـن ثنائيـة رقمي/ورقـي. حتـى بعـد عـود الحيـاة كـما عرفناهـا قبـل الوبـاء، لـن يتراجـع اسـتخدام التكنولوجيـا في حياتنـا اليوميـة في مختلـف مجالاتهـا. ومـا كان ممكنـا مـن قبـل، مثـل عـدم اسـتخدام الهاتـف الـذكي، أصبـح غـير ممكـن بعـد أن أصبـح جهـازا لا غنـى عنـه للتواصـل مـع المؤسسـات الرسـمية والمالية وغيرهـما.

شـهدت الشـعوب العربيـة خـلال السـنوات التـي مـرت منـذ صـدور الطبعـة الورقيـة في عـام 2016 تطـورات فاقـت الخيـال في رداءتهـا، ففـي الولايـات المتحـدة فـاز دونالـد ترمـب في انتخابـات الرئاسـة، خلافـا لتوقعـات وسـائل الإعـلام واسـتطلاعات الـرأي الأميركيـة. ولم يدخـر ترمـب جهـدا في فـرض أمـر واقـع عـلى صعيـد القضيـة الفلسـطينية، فقـرر نقـل السـفارة الأميركيـة إلى مدينـة القـدس المحتلـة، وتـم الترويـج لمـا سـمي «صفقـة القـرن»، وجهـرت مجموعـة مـن الـدول العربيـة بنيتهـا عـلى إقامـة علاقـات طبيعيـة مـع إسرائيـل، وفعلـت ذلـك رسـميا.

في المقابـل قـدم الشـعب الفلسـطيني أمثلـة جديـدة عـلى الإبـداع النضـالي، فالقـدس شـهدت انتفاضـات شـعبية مثـيرة للإعجـاب دفاعـا عـن المسـجد الأقـصى والبيـوت الفلسـطينية المهـددة بالمصـادرة في حـي الشـيخ جـراح. وقُـدم لنضـال المقدسـيين الدعـم العمـلي مـن المقاومـة الفلسـطينية المسـلحة المتمركـزة في غـزة، فتعرضـت تـل أبيـب لقصـف صاروخـي متكـرر رغـم تعـرض قطـاع غـزة لعـدوان إسرائيـلي اسـتهدف تدمـير المبـاني السـكنية والتـي تسـتخدمها المؤسسـات.

عندمـا صـدرت **عــود الـنـــد** في عـام 2006، كان ثمـة أمـل في أن تتحســن الأوضـاع في الـدول العربيـة فـلا تعـود مسـألة تمتـع المواطنـين بالحريـات الأساسـية مسـألة تخيـف الممسـكين بالحكـم. وتعـزز هـذا الأمـل عندمـا شـهدت مجموعـة مـن الـدول العربيـة في 2011/2010 مجموعـة مـن التحـركات الجماهيريـة المطالبـة بالتغيـير فحققـت نجاحـا مؤقتـا في كل مـن تونـس ومـصر.

لكـن الثـورة المضـادة لم تتأخـر في القيـام بهجمـة مضـادة وأعـادت الأوضـاع إلى أسـوا مـما كانـت عليـه، إمـا بالتدخـل المبـاشر مـن الجيـش، أو مـن خـلال عمليـة تبـدو ديمقراطيـة إجرائيـا، ولكنهـا مـن حيـث الجوهـر لا صلـة لهـا بالديمقراطيـة.

لم يعـد مـن الواقعـي الحديـث عـن أمـل في تطـور الأوضـاع الثقافيـة طالمـا الـدول العربيـة تفتقـر إلى الحريـات الأساسـية، فالتطـور الثقـافي هـو نتيجـة للتطـور السـياسي والفكـري. مـع ذلـك، ورغـم التفكـير في التوقـف في إصـدار **عــود الـنـــد** بعـد خمسـة عـشر عامـا مـن النـشر، تراجعت عـن هذا القـرار، فالحاجـة زادت للمنابـر الثقافيـة المسـتقلة ماديـا وفكريـا.

مع أطيب التحيات

د. عدلي الهواري

لندن

2021/10/10

شـــكـر وتقـديـر

مع أن **عـود الـنـد** صدرت بمبادرة فردية، إلا أن تمكنها مـن الاستمرار فـي الصدور عشر سنوات متتالية ما كان ليتم لولا البحوث والمقالات والقصص التي كـانت ترسل للـنشر كـل شهر. ولـذا أعتبر كـل مـن شارك في المجـلة مساهـما في هـذه المبادرة الـثقافـية بحجم المشاركة. هناك مـن اكتفى بنص، وهنـاك من شارك بنصوص عديدة. أشكر كل من شارك في المجلة والتزم بسياسة النشر فيها.

بعد أربعة أعداد، بدأت **عـود الـنـد** وضع لوحة فن تشكيلي على الغلاف، وتم ذلك بعد الحصول على موافقة الفنان/ة صاحب/ة اللوحة. وهكذا اقترنت المجلة بالجمال والإبداع، ونتج عن ذلك ما يشبه معرض جماعي لفنانات وفنانين ذوي أساليب ومدارس فنية مختلفة. هؤلاء أيضا مساهمون في هذه المبادرة الثقافية، ولهم جزيل الشكر على تعاونهم مع المجلة.

ويستحق الشكر أيضا الصحفيات والصحفيون الذين نشروا أخبار صدور أعداد **عـود الـنـد**، وخاصة أولئك الذين فعلوا ذلك مرات عديدة، والذين سلطوا الضوء على تجربتها في مقابلة صحفية أو تلفزيونية.

كما أشكر متابعات ومتابعي **عـود الـنـد** وخاصة من تفاعلوا مع المواد المنشورة في المجلة فكتبوا تعليقات عامة، أو نشروا على صفحاتهم في مواقع التواصل الاجتماعي روابط لعدد كامل أو مواد بعينها.

وأشكر مـن قـدموا لي الدعم المعنوي بكلمات التقدير في رسائل خاصة فقد كان لها دور كبير في تجديد المقدرة على مواصلة المسيرة الطويلة.

المقدمة

عندما يقترب المسافر من مقصده، تزداد لهفته على الوصول، ويبدو الوقت المتبقي طويلا رغم قصره مقارنة بما سبقه. هذا الشعور ينطبق علي، فما أن أكملت **عود الند** عامها التاسع وبدأت العاشر، صرت تواقا لإكمال عقد من الزمن، فذلك يمثل قيمة معنوية كبيرة.

صدور هذا الكتاب متزامن مع إكمال **عود الند** عشر سنوات. وهو شقيق آخر سبقه في الصدور بنحو شهر. كلاهما فيه افتتاحيات ومقالات مختارة نشرت في **عود الند**. الأول شمل الأعوام السبعة الأولى، والثاني هذا يشمل ثلاث سنوات: من بداية الثامنة وحتى نهاية العاشرة.

ترتيب الموضوعات المنشورة في الكتاب ليس حسب التسلسل الزمني لنشرها في المجلة، ولكني وضعت رقم العدد وتاريخه في نهاية كل موضوع لتسهيل وضعه في السياق الزمني الذي نشر فيه، ما يسهل ربطه بأخبار أو أحداث ذلك الوقت. وعند الإشارة إلى حدث ما، أضفت السنة بين قوسين مستقيمين [--] ليكون السياق الزمني واضحا.

إذا ذكرت في افتتاحية أو مقالة مرجعا ما، أضع في أسفلها المصدر، أو إشارة فيها توضيح، أو اسم مجلة أو عنوان كتاب. في حال عدم توفر المكان

لوضع المراجع، فهي موجودة في قسم «هوامش ومراجع» في الصفحات الأخيرة من الكتاب، وستجد/ين (هوامش) أسفل الموضوع كإشارة.

في الكتاب خمسة أقسام: الأول فيه مجموعة من الافتتاحيات عن شؤون ثقافية، وأخرى ذات علاقة باللغة العربية واستخدام العامية بدل الفصحى في التعليم. القسم الثاني فيه افتتاحيات ومقالات ذات علاقة بقضايا اجتماعية ونسوية (جندرية). القسم الثالث مخصص لافتتاحيات ومقالات ذات علاقة بشؤون سياسية وفكرية.

القسم الرابع فيه موضوعات ذات علاقة بالإعلام وخمسة مقالات عن هموم أكاديمية تواجه الباحثات والباحثين أثناء سعيهم للحصول على درجة عليا. تشرح المقالات بعض المفاهيم والمصطلحات التي تُذكر كثيرا في سياقات البحث الأكاديمي، وتُبـيّن أنها تُستخدم بدون وضوح في معناها، وتبـدد الغموض المتعلق بها. القسم الخامس خاص بـ **عـود الـنـد**، أي أن المجلة هي موضوع الكلمة، وتحديدا افتتاحيات كتبت في ختام وبداية عام من النشر.

تختلف الافتتاحيات والمقالات المنشورة في هذا الكتاب بأنها ليست بالإيجاز الذي اتسم به الكثير من افتتاحيات الكتاب السابق «غسان يبتسم». وفي العديد منها شيء من الأسلوب الأكاديمي المعتمد على مقتطفات وأرقام هوامش ومراجع. رغم ذلك، تسعى المقالات إلى إيصال الفكرة ببساطة ووضوح، ودون محاولة استعراض العضلات في التنظير أو استخدام اللغة.

أما وقد أتمت **عـود الـنـد** العام العاشر، يسعدني أن أقول إن المجلة بلغت ذروة فاقت توقعاتي بكثير. والمهم أنها نجحت إلى حد لا يستهان به في المساعدة على الرقي بالمستويات الثقافية، وتوفير منبر ثقافي راق بديل لا غاية له سوى خدمة الثقافة ومحبيها.

وبرهنت تجربة **عـود الـنـد** أن الثقافة من أهم عوامل تضييق الهوة التي تفصل الناس عن بعضهم، فمثلما يُخلع الحذاء قبل الدخول إلى مكان

مقدس، ترك المشاركات والمشاركون في المجلة العصبيات جانبا، ووجدوا أنفسهم يتفاعلون في **عـود الـنـد** مع إبداعات الآخرين، فمهدت الثقافة إلى حوارات، ونتج عن بعضها صداقات. وما كان لهذا أن يحدث لو كانت المجلة منبرا سياسيا وأيديولوجيا مهمته الدفاع عن أفراد أو جماعات أو أنظمة، أو مصالح شخصية أو طبقية أو طائفية.

مع أطيب التحيات

عـدلي الهـوّاري

لندن

أيّار (مايو) 2016

الثقافة والتعليم
واللـغـة العـربـيـة

تقييم الشعراء والأدباء

تكرر الجدل الساخن حول تقييم شخصية أدبية شهيرة بعد الإعلان عن وفاة الشاعر اللبناني سعيد عقل [2014/12]. والنقطة الجوهرية في الجدل تدور حول صواب عدم الاكتفاء بتقييم شعره وضرورة إدخال المواقف السياسية والشوفينية لعقل في تقييمه. وموضوع كلمتي ليس تقييم سعيد عقل، بل التعليق على ظاهرة تقييم الشعراء والأدباء.

عند وفاة شخصية أدبية شهيرة في دولة عربية، يكون لها مريدون يلجأون إلى التمجيد، فتكون الشخصية فريدة عصرها، ولن يجود الزمان بمثلها. وإذا كان في حياة الشخصية الراحلة ما يعرضها للنقد، يسعى المريدون إلى تبرير ما قالت أو فعلت. في مصر على سبيل المثال، يصعب الحديث عن نجيب محفوظ إذا كان في الحديث ما ينطوي على نقد له أو لأعماله. وفي لبنان، مريدو سعيد عقل يرونه عبقريا في الشعر وغيره، ويبررون له كل أقواله وأفعاله.

عندما يبدأ الجدل حول شخصية ما، يلاحظ أن بعض المقيّمين يعتبرون أنفسهم أكثر خبرة ودراية، بينما الآخرون ذوو معرفة سطحية. ولذا من ركزوا على الإشادة بشعر سعيد عقل قيل عنهم إنهم لا يعرفون من شعره إلا ما غنته فيروز، وبالتالي ليسوا مؤهلين للحكم عليه كشاعر بناء على مجمل إنتاجه الشعري.

وفي المقابل، هناك من دافع عن عدم إمكانية الفصل في التقييم بين المقدرة الشعرية والمواقف الأخرى، وبالتالي قالوا لا يمكن تمجيد الشاعر بناء على شعره الجميل ونسيان مواقفه الأخرى في السياسة وغيرها. وهناك أيضا بين المقيّمين من يقول إن الشخصية الراحلة لم تكن الوحيدة التي عليها مآخذ، ويعددون أمثلة على آخرين فعلوا شيئا يؤخذ عليهم.

لا أحد من المقيّمين يثبت في موقع واحد عند تقييم الشخصيات الراحلة، فشاعره أو أديبه المفضل تطبق عليه معايير معينة، ثم عندما ترحل شخصية أخرى لا تحظى عنده بالمكانة نفسها تختلف معايير التقييم، فإذا كان من محبي شاعر له مواقف سياسية لها من ينتقدها يصر على تقييم الشعر فقط، وعدم إخضاع الشاعر/ة إلى محاكمة سياسية. وبعد فترة تقصر أو تطول إذا رحل شاعر آخر في سجله ما يمكن أن يؤخذ عليه، يبدأ التنظير على عدم إمكانية الفصل بين الأدبي والسياسي.

من له الحق في أن يقيم؟ كل من يرغب في ذلك. هل هناك معايير موحدة وثابتة للتقييم؟ بالتأكيد لا، حتى لو كان النقاد أكاديميين مختصين، إذ لا توجد صيغة أكاديمية أو مدرسة نقدية واحدة. هل يمكن فصل مجال الإبداع عن المجالات الأخرى في تقييم شخصية ما؟ لا يمكن، وهذا ينطبق على جميع من رحلوا ومن هم على قيد الحياة.

الملاحظ أن كثيرين في الدول العربية يحبون ذكر أسماء شعراء وأدباء في سياق التمجيد فقط، على غرار ذكر شكسبير وغيره من الأسماء الشهيرة في الأدب الإنجليزي مثلا. ولكن يخطئ من يظن أن الكثير من الإنجليز يقبلون على قراءة شكسبير أو غيره رغم شهرتهم، ورغم كل التمجيد الهادف أيضا إلى تمجيد البلد نفسه من خلال الاحتفاء ببعض الشخصيات وتعظيمها.

في رأيي أنه من الواقعي أكثر التخلي عن بعض المصطلحات من قبيل العصر الذهبي والزمن الجميل، أو العباقرة، وخلاف ذلك. لا زلنا

نحكم على الأدب والفن بعقلية تجاوزها الزمن منذ عقود. نحن اليوم في عصر تعدد الأصوات.

قد يحظى شاعر أو أديب بالشهرة أكثر من غيره، وقد تكون الشهرة مستحقة، وقد تسهم فيها عوامل أخرى، كالقرب ممن هم في السلطة والانتماء السياسي والإعلام، ولكن الشهرة لا تجيز أن نظل نعتبر هذه الشخصية أو تلك حالة استثنائية، ففي هذا مبالغة وظلم للأجيال الحالية والقادمة.

الـعـدد 103: 2015/1

دور النشر والجوائز

أوصى الشاعر مريد البرغوثي، بصفته رئيس لجنة تحكيم الجائزة العالمية للرواية العربية (2014/2015)، دور النشر بتعيين محرر أدبي ليعمل مع المؤلف/ة على الارتقاء بجودة العمل الروائي. ووردت التوصية في الكلمة التي ألقاها في حفل الإعلان عن الرواية الفائزة، وكانت من نصيب الروائي التونسي شكري المبخوت عن روايته «الطلياني» (الناشر: دار التنوير، تونس).

هذه التوصية وملاحظة أخرى لها علاقة بدور النشر هما موضوع الكلمة هذه. يقول البرغوثي في النقطة الأولى[1]:

> لاحظت اللجنة ترشيحات من دور يبدو أنها تأسست لهذا الغرض لا غير، ونسمع أن هناك دورَ نشرٍ تتقاضى أموالاً من الروائيين بطرق متنوعة. مما يمنع لجان التحكيم من افتراض المفترض، وهو أن موافقة الناشر على نشر الرواية يعني بالضرورة مقداراً أوليا من الجدارة.

حصول دور النشر على مال من الروائيات والروائيين، وغيرهم، ليس سرا يخرج إلى العلن لأول مرة، بل ممارسة شائعة ومعروفة، فالكاتبات والكتاب ينشرون مؤلفاتهم على حسابهم، إلا من حقق شهرة، فعندئذ قد تنشر له أو لها

دور النشر على حسابها. بل إن بعض الكاتبات والكتاب المشهورين يتحولون إلى طباعة كتبهم ونشرها بصفة منشورات فلان الفلاني أو فلانة الفلانية.

وظاهرة النشر على حساب الكاتب/ة معروفة في الدول الغربية أيضا، ولكن دور النشر الجادة تنشر على حسابها مقابل مبلغ يدفع للكاتب/ة مقدما، ثم نسبة من عائدات المبيعات. في المقابل، قبول مخطوطات لنشرها ليس سهلا، وخاصة المخطوطة الأولى، وتطلب دور النشر فصلا من الكتاب كعينة، أو ملخصا يشمل جدول محتويات الكتاب، والجمهور المستهدف، وفكرة عن الكتب المماثلة، إلى آخره، قبل الموافقة عليها.

الإحباط الذي ينتج عن البحث المضني عن دار نشر تقبل مخطوطة، ودفع الكاتب/ة تكاليف نشر الرواية أو الكتاب، وفرا الأرضية الخصبة، بعد دخولنا العصر الرقمي، للنشر الذاتي، فالنشر والطباعة عمليتان منفصلتان، وبوسع الكاتب هذه الأيام أن يجد شركة طباعة يحدد لها عدد النسخ المطلوبة، وهناك شركات تقدم خدمة تسمى الطباعة عند الطلب (print on demand)، وأخرى متخصصة بطبع أعداد محدودة من الكتاب (short run). وهكذا انتشرت منذ سنوات ظاهرة النشر الذاتي بما لها وما عليها من ملاحظات.

الأمر المقلق أكثر في الفقرة المقتطفة أعلاه هو الإشارة إلى أن دور نشر تأسست لترشيح الروايات للجوائز دون أن تكون مقتنعة بجودتها وفرصها بالنجاح. هذه الظاهرة من النتائج غير المقصودة لإطلاق رواية غايتها الارتقاء بالأعمال الروائية العربية.

أما سبب فعل دور النشر ذلك، وتجاوب الروائيات والروائيين، فهو في رأيي يكمن في الرغبة في الحصول على دعاية في الإعلام، فهذه الجائزة تحظى بتغطية إعلامية كبيرة في مختلف مراحلها، ونتيجة لذلك، تحصل دور نشر

والكاتبات والكتاب على ذكر في وسائل الإعلام منذ بدء ترشيح الروايات وحتى إعلان القائمة الطويلة.

ويبدو أن الحصول على ذكر خلال هاتين المرحلتين يعد إنجازا من وجهة نظر بعض دور النشر والكاتبات والكتاب، لأنه يمكن توظيفه في الترويج بأن يقال إن الرواية الفلانية رشحت للجائزة العالمية للرواية العربية. أما توصية البرغوثي دور النشر بتعيين محرر أدبي فقد كانت على النحو التالي:

لكن الأمر الأهم هو غياب دور «المحرر الأدبي». الناشرون في بلادنا بحاجة إلى تعيين «محرر» يناقش المخطوط مع المؤلف مراجعة فنية أولى. ونحن هنا لا نتحدث عن المصحح اللغويّ. المحرر يتدخل في تقنيات الرواية ونسيجها وبنائها وإيقاعها وحوارها، هو الذي يقترح الإضافة والحذف، وهو الذي ينبه المؤلف عندما ينزلق السرد إلى مقال أو أطروحة، وذلك سعياً لإنقاذ العمل من الابتسار أو الترهل أو المباشرة، أو وضع النهاية قبل الأوان أو بعد الأوان، وهكذا تصل الرواية إلى شكلها المطبوع سالمةً من هذه الفخاخ[2].

الكاتب في الكثير من دور النشر في الدول الغربية يعمل مع محرر، ويجري نقاش بين الطرفين، وقد يكون التغيير المقترح غير مقبول من الكاتب/ة، ولذا يوضع في العقود بند يحدد من له الكلمة النهائية بشأن التغيير.

في عام 2008، كتبت افتتاحية عنوانها «رابع المستحيلات»، وهو كما وصفته: «النص الكامل الأوصاف الذي لا يحتاج إلى مرور عبر عملية مراجعة أو تحرير بعد أن ينتهي مؤلفه من كتابته، لأنه واضح المعنى، متماسك المنطق، كل جملة فيه سليمة التركيب، وكل كلمة اختيرت بعناية، وهو خال من الأخطاء النحوية والإملائية، وكل علامات التنقيط مستخدمة فيه استخداما صحيحا»[3].

العمل مع محرر لا يعني انتقاصا من قدرات الكاتب/ة، فلكل من الكتابة والقراءة حالة ذهنية مختلفة. من يرسم الشخصيات وينطقها، كل شيء

بالنسبة إليه أو إليها واضح. عندما يقدم النص للقارئات والقراء يختلف الوضع، ويظهر غموض أو تناقض أو إسهاب أو تكرار.

المحرر هو القارئ الأول، ولذا دوره مهم في اكتشاف هذه الأمور قبل أن يوضع الكتاب في متناول الجميع. وحتى بعد مشاركة محرر في تحسين جودة مخطوطة، لن يمكن أن نقول إن النصوص التي تمر على محرر ستكون جيدة دائما، ولكني أؤكد بحكم تجربتي في تحرير النصوص والبحوث على مدى تسع سنوات حتى الآن أن النص الذي ينشر بعد المرور على محرر يخرج بصورة أبهى من الأصلية. هناك نصوص لا تحتاج إلى تحرير، وهذا يسعد المحرر/ة، ولكن هذا الاستثناء وليس القاعدة، والحقيقة التي لا مفر منها أن النصوص تصبح أفضل من خلال إعادة الكتابة والتحرير.

دور النشر العربية، الصغيرة منها والكبيرة، يجب أن تعيد النظر في أساليب عملها، ولا أتحدث هنا عن عدم ترشيح روايات لجوائز دون الاقتناع بالجودة وفرص النجاح، بل يجب أن تشمل المراجعة وضع إجراءات تبدأ بالترحيب بتقديم المخطوطات أو ملخصات لها قبل اتخاذ قرار قبولها للنشر. بعض دور النشر العربية ليس لها مواقع على الإنترنت، وأخرى لها مواقع، ولكنها لا ترد على الرسائل المرسلة من خلاله. ودور النشر في العادة مستعدة لنشر ما تريد إن كان لديك الاستعداد لدفع المبلغ المطلوب.

ويجب أن تنشر دور النشر المؤلفات التي تقبلها على حسابها، وأن تتقاسم العائدات بنسبة عادلة مع الكاتبات والكتاب. وإذا لم يحدث هذا، ولا أظن أنه سيحدث قريبا، فإنني أتوقع إن تبدأ بالانتشار ظاهرة النشر الذاتي كما حدث في الدول الغربية، فتقنيات الطباعة تطورت، ولم تعد هناك حاجة إلى طبع ألف نسخة كحد أدنى. وطالما أن النشر في العالم العربي يتم حاليا على حساب الكاتب/ة، فسيكون لاستثمار المبلغ في مشروع نشر ذاتي فوائد أكثر، فالمرجح أن تكون الكلفة المالية أقل، وتكون كل الحقوق للكاتب/ة، ولا يظل

الكاتبات والكتاب تحت رحمة دور نشر لا ترد على الرسائل، أو تكون مستعدة للنشر مقابل مبلغ تحدده.

ربما العالم العربي بحاجة الآن إلى جائزة تمنح لدور النشر التي تمارس عملها على أساس نشر الجيد، والنشر على حسابها لا على حساب الكاتب/ة، وتكون كل إجراءاتها واضحة، ومتوفرة على مواقعها في الإنترنت. بهذه الطريقة تتكامل المساعي الهادفة إلى الارتقاء بمستويات الأعمال الأدبية والمؤلفات الأخرى.

= = =

[1] كلمة مريد البرغوثي في حفل إعلان الفائز بالجائزة على الرابط التالي:

http://arabicfiction.org/ar/news.2.500.html

[2] الرابط السابق.

[3] افتتاحية الـعـدد 20، كانون الثاني (يناير) 2008 على الرابط التالي:

http://www.oudnad.net/20/kalima20.php

الـعـدد 108: 2015/6

توظيف الواقع في الروايات

هناك فئة من الروايات تسمى واقعية. وهذا التصنيف لا يعني أنها تقرير عن واقع، أو أن شخصياتها واقعية، وأن الرواية سجل لحياة شخصيات الرواية.

ما أود الحديث عنه هنا هو توظيف الواقع بشكل من الأشكال كأسلوب سردي، اعتقادا من الكاتب/ة أنه يساهم في سرد الحكاية ورسم صورة للواقع التي تدور فيه. من الأمثلة على ذلك، ويحدث في الأفلام كثيرا، استخدام مقطع من نشرة إخبارية تلفزيونية، كخبر وفاة شخصية أو استقالتها من منصبها.

عند الإكثار من توظيف هذا الأسلوب، أرى أنه يأتي بنتيجة عكسية، فهو يقتل السرد، ولا نعود نقرأ كلمات الكاتب/ة، وتتحول الصيغة الواقعية بالمعنى المذكور في البداية إلى واقعية التقرير الإخباري الذي نسمعه في الإذاعات ونشاهده على شاشات التلفزيون.

من الأمثلة على توظيف مقتطفات من نشرات الأخبار رواية «كم بدت السماء قريبة!» للروائية العراقية بتول الخضيري، فقد تكرر استخدام نشرة الأخبار في الرواية، فأثر ذلك سلبا على انسياب السرد ومتعة المتابعة. الروائي المصري صنع الله إبراهيم وظف كثيرا عناوين الصحف والأخبار في رواية «بيروت بيروت». ونتيجة لتكرار الاستخدام تأثر السرد سلبا مثلما حدث في المثال السابق.

ونجد في بعض الروايات أحيانا حضورا لأحداث واقعية شاهدناها على التلفزيون أو تابعناها في الأخبار، أحيانا بشكل طبيعي لرسم خلفية لأحداث الرواية، وأحيانا لإعطاء الكاتب/ة رأيا فيها على لسان الراوي أو شخصية من الشخصيات. في رواية «كم بدت السماء قريبة!» يستمر تسلسل الأحداث إلى أن تصل إلى الغزو العراقي للكويت، وتفجير آبار النفط وتلوث الشواطئ به. في تلك الفترة، كررت القنوات التلفزيونية عرض صور طائر بحري ملوث بالنفط. ومن شاهد هذه الصور كان وقعها عليه أكبر بكثير من القراءة عنها في الرواية.

في رواية «عابر سرير» للروائية الجزائرية، أحلام مستغانمي، هناك ذكر لغزو الكويت في سياق إظهار رهافة الحس الفني والجمالي، وكان ذلك من خلال إشارة الرواية إلى لوحات فنان عراقي يعيش في باريس كان يرفض بيع لوحاته عن البصرة، ولكنه وافق على وضعها في بيت امرأة كويتية تقدر الفن على أمل أن تضعها في متحف البصرة ذات يوم. ولكن بعد عام من ذلك، وقع غزو الكويت وصودرت اللوحات من بيتها. عند مقارنة الأمر بما تعرض له وطن وشعب في تلك المرحلة نجد أن رهافة الحس هنا في غير مكانها.

بشكل عام أقول: عندما توظف الرواية واقعا عايشناه، أو تابعناه عبر وسائل الإعلام، يكون التوظيف غير مؤثر، فالواقع حار وديناميكي أكثر مما يمكن لرواية أن تعيد تصويره. من الأمثلة على ذلك، مسألة تحدي مارغريت ثاتشر على زعامة حزب المحافظين البريطاني الذي تم بث بعض مجرياته، من ترشيحات ونتائج، على شاشات التلفزيون مباشرة.

بعد أن أزيحت ثاتشر عن زعامة الحزب، أعيد تصوير هذه الأحداث في دراما تلفزيونية، ولكن الفرق كان شاسعا بين سخونة الواقع وتأثيره على متابعيه، مقارنة بتأثير الدراما التلفزيونية. ومن سياق السينما العربية، هناك أفلام عن شخصيات قديمة وأخرى عاصرناها. الاقتناع بأداء الممثل مرجح عندي أكثر في حالات الشخصية القديمة، كدور فريد شوقي في فيلم «عنترة بن شداد»،

أو أحمد مظهر في فيلم «الناصر صلاح الدين». أما أحمد زكي في فيلم «أيام السادات»، مثلا، فليس له عندي التأثير نفسه، فقد شاهدنا السادات يخطب ويتحدث في مناسبات عدة، ولدينا صورة واضحة عن شخصيته وانفعالاته.

الروايات تكون مؤثرة أكثر عندما تأخذنا إلى مكان أو زمان لم نره ولم نعايشه. أما عندما تأخذنا إلى مكان نعرفه، فمن المحتمل ألا نتفق مع وصف الكاتب/ة للمكان. والرحلة ضمن رواية إلى مكان معروف لا تسمح للخيال بأن يرسم الصورة حسب تصوره لها، بل تبطل دوره لأن اعتماد القارئ/ة سيكون على الصور المحفوظة في الذاكرة.

أيضا العودة إلى أحداث رأيناها وعايشناها لإعطاء رأي فيها تجعل القارئ في وضع يمكنه من رفض رأي الكاتب/ة في الحدث. وهذا الموقف غير ممكن عندما يتعلق الأمر بواقع لا نعرفه.

الخلاصة إذن هي أن توظيف الواقع في الروايات يجب أن يتم التعامل معه بحرص شديد، أولا من منطلق الحفاظ على أسلوب الكتابة الخاص بالكاتب/ة؛ وثانيا، حرصا على انسياب السرد؛ وثالثا، من أجل أن يتم نقل الواقع ومحاكمته أو تشريحه بشكل فني مقنع وممتع.

= = =

إبراهيم، صنع الله. بيروت بيروت. القاهرة: دار المستقبل العربي، 1984.

الخضيري، بتول. كم بدت السماء قريبة! بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، 1999.

مستغانمي، أحلام. عابر سرير. بيروت: منشورات أحلام مستغانمي، 2003.

التسامح والمساواة والآخر في ندوة أدونيس

تجدد الجدل بعد الندوة التي أقيمت للشاعر السوري أدونيس (علي أحمد سعيد) في معرض القاهرة للكتاب (شباط/فبراير 2015). وكعادة التغطيات الإخبارية، تم التركيز على جانب أكثر من آخر. ردود الفعل على ما قيل في الندوة انقسمت إلى فئتين: واحدة متفقة مع وجهات نظره التي تعتبر العرب والمسلمين حالة ميؤوسا منها، وأخرى اعتبرتها معادية للإسلام.

وكان أدونيس أثار جدلا مماثلا عام 2009، وقد علّقت على ما قاله في ذلك العام معتمدا على ما نشر في الصحف. وآثرت أن أعلق هذه المرة بعد الاستماع إلى المحاضرة كاملة، لكي أحكم بنفسي على المحتوى والسياق، بما في ذلك نبرة الصوت والوقفات، ووجدتها كاملة في موقع يوتيوب.

تميزت الندوة في كثير مما قاله أدونيس بأنه لجأ إلى التعميم الكاسح الذي يتجاوز حدود التحليل العلمي الموضوعي. هذا لا يعني أني لم أجد فيها ما يمكن الاتفاق معه عليه، فمسألة تأويل النصوص التي أشار إليها تقدم تفسيرا معقولا لاختلاف فهم وتصرفات من يقرأ النص ذاته. ومن بين مجموعة أفكار وآراء لجأ فيها أدونيس إلى التعميم الكاسح، أود أن أناقش ما طرحه بشأن التسامح والمساواة. وتوخيا للدقة، أبدا بما قاله عن ذلك:

لا نزال ثقافيا في ثقافة الإمبراطورية العربية الإسلامية، ثقافة الغزو والفتوحات والتي وصلت في أوجها إلى ما نسميه بالتسامح. والتسامح أدى دورا

عظيما، على المستوى التاريخي. لكن الإنسان العربي اليوم، والإنسان، كل إنسان، لم يعد يكتفي بالتسامح، لم يعد يريد التسامح، يريد المساواة. الإنسان يريد المساواة الآن، لا التسامح، لأن التسامح تراتبية. والمتسامح يضمر أن الحق معه. لكنه يعطي التسامح كمنّة للآخرين وتفضل عليه. الإنسان اليوم يرفض هذه المنّة. يرفض التسامح، ويصر على المساواة، وإقامة العدالة التي تفترضها المساواة.

لنأخذ الجملة الأولى: «لا نزال ثقافيا في ثقافة الإمبراطورية العربية الإسلامية...». هذا مثال على التعميم الكاسح الذي يخرج عن نطاق التحليل العلمي الموضوعي. ومع أن أدونيس لا يستثني نفسه من هذا التعميم بقوله «لا نزال» إلا أن هذا لا يقلل من أثره السيء على المتلقي. وإذا اعتبرنا الإمبراطورية العثمانية امتدادا للإمبراطورية العربية الإسلامية، فقد بلغت العثمانية أوجها في القرن السابع عشر عندما حاصرت فينا، ولكنها خسرت المعركة. ثم أصابها الضعف شيئا فشيئا، وتمكنت بريطانيا وفرنسا من تقاسم وتقسيم الأراضي العربية التابعة لهذه الإمبراطورية، وذلك من خلال اتفاقية سايكس-بيكو عام 1916 التي مر عليها الآن قرن تقريبا.

انتهى منذ زمن طويل عصر الفتوحات الإسلامية، هذا إذا اعتبرناه عصرا واحد، وبدأ عصر «فتوحات» أوروبي، وخضعت دول ومناطق عربية وإسلامية لسيطرة فرنسا وبريطانيا، وخضعت شعوب ومناطق أخرى في العالم لسيطرة هاتين الدولتين وغيرهما، وكادت فرنسا تنجح في تحويل الجزائر إلى قطعة من فرنسا.

بعبارة أخرى، ثقافة الغزو والفتوحات الإسلامية بتجسيدها العملي انتهت قبل الحرب العالمية الأولى بكثير. وللدقة في النقاش، سيمكن القول إن أدونيس لا يتحدث عن فتوحات فعلية بل ثقافة بمعنى عقلية، ولكن حتى في هذا السياق التعميم غير صحيح. هناك بين المسلمين من يحن إلى زمن الفتوحات، والبعض قد يرغب في العودة إلى ذلك الزمن، ولكن لا يمكن التعميم

إلى حد قول إننا جميعا «لا نزال» بناء على وجود فئة تفكر بهذه الطريقة. إضافة إلى ذلك، تغير العالم بأسره، وتغير معه العالمان العربي والإسلامي.

ونصل إلى النقطة الأهم، وهي حديث أدونيس عن التسامح. كلامه في هذا الشأن واضح، فهو يرى أن له جانبا إيجابيا ولكنه لم يعد كافيا، والبديل هو المساواة. لا أختلف معه على أهمية المساواة، ولكني أرى أنه اعتبر المساواة بديلا للتسامح، والواقع لا يؤيد ذلك.

سيدور النقاش حول مفهوم ما في حلقة مفرغة عندما يكون له معنى مختلف في ذهن أطراف النقاش، ولذا أود أن أوضح فهمي للتسامح، وبعد ذلك سوف أبين لماذا المساواة لا تلغي الحاجة للتسامح.

التسامح ليس مصطلحا قانونيا (أو شرعيا)، كالمواطنة أو التمييز مثلا، فالقوانين في العادة تنص على أن المواطنين متساوون أمام القانون. والمصطلح بالإنجليزية هو تولرانس (tolerance)، وفي تعريف القاموس له فهو يعني تقبل المختلف عنك في المعتقدات أو العادات، وبهذا المعنى لا غنى عنه حتى في المجتمعات القائمة على أساس المساواة بين المواطنين.

بداية تجدر الإشارة إلى أن الدول الغربية العلمانية لم تبلغ مرحلة المساواة بين مواطنيها مرة واحدة، والمرأة تحديدا لم تحصل على المساواة إلا قبل عقود قليلة، فحق الانتخاب لم يمنح لها إلا بعد نضال نسوي، وظلت المرأة (وربما لا تزال) تحصل على أجر أقل من الرجل مقابل القيام بنفس العمل أو عمل شبيه. وفي الولايات المتحدة، المواطنون الأميركيون من أصل أفريقي عاشوا طويلا في عبودية تجيز أن يباعوا ويشتروا، وبعد إلغائها حصلوا على حقوق منقوصة، وكان هناك فصل بين البيض والسود، ولم يحصلوا على حقوقهم المدنية كاملة إلا في الستينيات.

ولكن إذا قفزنا عن كل ذلك لنصل إلى الآن، أي الفترة الزمنية التي صارت المساواة أمام القانون حقا لجميع المواطنين، سوف نجد أن هذه المساواة لا تلغي

الحاجة إلى التسامح، فعكس التسامح هو العصبية (الدينية مثلا) والعنصرية، وحتى عندما يمنع القانون التطبيق العملي للتمييز والعنصرية، فإنه لا يستطيع أن يتغلغل إلى داخل الإنسان، ويرغمه على التسامح، وهكذا يأتي التعبير عن العصبية والعنصرية بأشكال مختلفة، كالاعتداء على من تلبس حجابا أو كتابة شعارات عنصرية على الجدران أو تدنيس أماكن العبادة. كل هذه أمثلة على عدم التسامح رغم أنها تجري في بيئة تحكمها المساواة من الناحية القانونية.

وعندما نوسع مفهوم التسامح من الفرد إلى الدولة أو الثقافة، يجب أن تبدي الثقافات تسامحا تجاه الثقافات المختلفة داخل البلد الواحد، فلا يعقل مثلا أن تعتز فرنسا بعلمانية صارمة وتطبقها على مواطنيها المسلمين أكثر من غيرهم، ثم نعتبر ذلك مقبولا على أساس مبدأ المساواة ومتماشيا مع التسامح.

تتفاوت درجة التسامح (رغم المساواة) من دولة أوروبية إلى أخرى، فسويسرا مثلا منعت بناء مآذن للمساجد في عام 2009، والتخويف من «أسلمة» أوروبا بعد عشرين أو خمسين سنة لا يمت للتسامح بصلة.

التسامح مطلوب ليس فقط داخل حدود الدول، بل خارجها أيضا، أي أن الدول/الثقافات الأوروبية وغير الأوروبية يجب أن تتحلى بالتسامح تجاه الثقافات الأخرى. الثقافة الهندوسية مثلا تقدر البقرة. التسامح واحترام معتقدات الآخرين يقضيان باحترام هذا الأمر رغم أنه يبدو غير منطقي لمن لا يؤمن به.

ويجب النظر إلى المساواة من المنطلق ذاته، فهي لا تشمل فقط السياق القانوني المحصور بمواطني الدولة داخل حدود معينة، بل المساواة بين بني البشر. هنا نلاحظ أن الغرب يتحدث عن المساواة نظريا، ولكنه في التطبيق يعطي قيمة أكبر بكثير للإنسان الفرنسي أو الأميركي أو البريطاني، إلى آخره، ولا يعطي قيمة مساوية للإنسان الفيتنامي أو الأفغاني أو العراقي أو الفلسطيني، إلى آخره. وخير مثال حديث على ذلك، الحرب على العراق في عام 2003، فهي تمت بناء على مجموعة من التلفيقات، وراح ضحيتها أكثر من نصف مليون

مواطن عراقي حسب دراسة نشرت في مجلة علمية هي «ذا لانسيت» (The Lancet) عام 2006.

وتحدث أدونيس في ندوته عن «الآخر»، وظهر من سياق حديثه أن المسلمين فقط لهم آخر، بينما الغرب ليس له «آخر». وهنا خلل كبير في طرح أدونيس. لو اعتبرنا الغرب مسيحيا أو علمانيا، له في الحالتين آخر، بل أكثر من آخر. وأركز هنا على المسلمين كآخر للغرب المسيحي العلماني لأن هذا محور النقاش. على الغرب مسؤوليات أيضا تجاه آخره المسلم، مثلما على المسلمين مسؤوليات تجاه آخرهم الغربي المسيحي/العلماني.

هناك حركات متطرفة في العالم العربي والإسلامي، وبلغ عنفها حدا ألّب المشاعر الشعبية ضدها، والناس ينتظرون الخلاص منها عاجلا لا آجلا، فضحاياها من المسلمين أكثر من غيرهم. ولكن هذه الظاهرة لا تجيز لأحد أن يقول إن ثقافة العنف والتكفير هي ثقافة المسلمين جميعا، ولا «يسايرنا» الغرب عندما يقول كله أو بعضه إن هؤلاء المتطرفين لا يمثلون الإسلام، فهذا استنتاج صحيح.

هناك حاجة ماسة للنقد والعقلية النقدية للخروج من أوضاع التخلف التي يعرفها العالمان العربي والإسلامي، ولكن النقد يجب أن يمارس بأدوات أكثر دقة.

الـعـدد 105: 2015/3

الأدباء والمخابرات: مرصودون ومتعاونون

غابرييل غارسيا ماركيز روائي من كولومبيا، وهو روائي شهير، ولكن لا بأس في التذكير بأنه حائز على جائزة نوبل للآداب عام 1982. ومن رواياته «مئة عام من العزلة» (1967)، و«الحب في زمن الكوليرا» (1985).

يوم الأحد، 4 أيلول (سبتمبر) 2015، نشرت صحيفة واشنطن بوست الأميركية في قسم الكتب مقالة بقلم جو ستيفنز جاء فيها أن مكتب التحقيقات الفدرالي، اف بي آي (FBI)، أخضع هذا الروائي للمراقبة منذ مجيئه إلى نيويورك مع زوجته وابنه الصغير في عام 1961. وكان ماركيز حينها في الثالثة والثلاثين من العمر. ولم يكن حينذاك شهيرا كما هو الآن[1].

وبموضوعية غير صادقة أو مقنعة، يقول الكاتب: «دافع اف بي آي لمراقبته [أي ماركيز] غير واضح، ولكن غارسيا ماركيز كان أتى للتو إلى الولايات المتحدة للمساعدة على تأسيس خدمة إخبارية للحكومة الكوبية [وكالة أنباء]. وفي الأعوام اللاحقة، أصبح يساريا بارزا وصديقا لدكتاتور كوبا فيديل كاسترو»[2].

أقول إنها موضوعية غير صادقة وغير مقنعة لأن الكاتب لا بد أنه يعرف أن الولايات المتحدة سعت إلى اغتيال كاسترو، وناصبت كوبا العداء منذ نجاح كاسترو ورفاقه في الإطاحة بحكم باتيستا الموالي للولايات المتحدة في عام 1959،

وفرضت على كوبا حصارا شديدا لم يخفف إلا في الآونة الأخيرة التي شهدت استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وفتح سفارة كل منهما في البلد الآخر في شهر تموز (يوليو) 2015.

المخابرات البريطانية الداخلية، المعروفة بـ ام آي 5، راقبت أديبة بريطانية شهيرة هي دوريس ليسنغ (Doris Lessing)، التي فازت بجائزة نوبل للآداب في عام 2007، وتوفيت عام 2013، ومن رواياتها «العشب يغني» (1950). المعلومات عن ذلك وردت في مقالة كتبها ديفيد باريت، ونشرت في صحيفة ذا تيليغراف البريطانية يوم الجمعة 21 آب (أغسطس) 2015. اعتمد الكاتب في مقالته على وثائق أفرج عنها في الآونة الأخيرة، كما يحدث عادة بعد مرور عشرين إلى خمسة وعشرين سنة عليها[3].

كاتب المقالة البريطاني أكثر وضوحا من نظيره الأميركي بشأن سبب إخضاع ليسنغ للمراقبة، ويقول إن الوثائق التي أفرج عنها تظهر أن ام آي 5 راقبت عن كثب «نشاطات ليسنغ من 1943 وحتى 1964 لأنها لعبت دورا رئيسيا في المشهد الأدبي اليساري في لندن»[4].

مقابل المثالين أعلاه لأدباء تعرضوا للمراقبة، هناك مثال آخر عن حالة تعاون أديب مشهور مع المخابرات. والمقصود الروائي البريطاني فريدريك فورسايث (Frederick Forsyth) الذي تجري أحداث رواياته في عالم الجاسوسية، ومنها روايته الشهيرة «ذا داي اف ذا جاكال» (يوم ابن آوى) التي حولت إلى فيلم بالاسم نفسه.

تحت عنوان «فريدريك فورسايث يكشف ماضي التجسس لـ ام آي 6»، نشر موقع بي بي سي الإخباري خبرا عن ذلك[5]، وجاء فيه أن الروائي، الذي عمل من قبل صحفيا في بي بي سي ووكالة الأنباء، رويترز، بدأ التعاون مع المخابرات الخارجية البريطانية أثناء عمله مراسلا صحفيا في فترة حرب أهلية في نيجيريا إثر انفصال المنطقة الجنوبية وإعلانها جمهورية سميت بيافرا (1967-1970).

وحسب ما ورد في الخبر فإن الكاتب «قام بمهمات في روديسيا وجنوب أفريقيا، وفي ألمانيا الشرقية في ذروة الحرب الباردة»[6].

الأمثلة الثلاثة أعلاه ظهرت المعلومات عنها حديثا. هناك أدباء روقبوا قبلهم، ولن يكون مستبعدا ظهور معلومات مشابهة عن أدباء مشهورين آخرين في المستقبل. وإذا كان رصد بعض الأدباء، والتعاون مع بعض آخر، يتم في دول كالولايات المتحدة وبريطانيا، فلا يعقل أنه لا يحدث في الدول الأخرى، ومن بينها طبعا الدول العربية.

(هـوامـش)

الـعـدد 112: 2015/10

الأدب والفن في الصراع الأيديولوجي والسياسي

من الأفلام التي اشتهرت كثيرا في العالم في أواسط الستينيات فيلم «دكتور جيفاغو»، وهو تجسيد سينمائي لرواية بالعنوان نفسه للشاعر والروائي الروسي بوريس باسترناك (Boris Pasternak). الرواية لم تنشر أولا في الاتحاد السوفييتي/روسيا. ومع ذلك نالت شهرة عالمية أسهم الفيلم في توسيع نطاقها.

كان للفيلم حظ إضافي من الاهتمام به في العالم العربي لأن دور البطل فيه أسند إلى الممثل المصري/اللبناني عمر الشريف، فزادت شهرته أضعافا بعد أن كان جسّد شخصية الشريف علي في فيلم «لورانس العرب» عام 1962. كلا الفيلمين من إخراج ديفيد لين، المخرج البريطاني.

سبب الإشارة إلى الفيلم/الرواية هو الكشف في الآونة الأخيرة عن تفاصيل استخدام الرواية في الصراع الأيديولوجي بين المعسكرين الاشتراكي والرأسمالي في الفترة التي عرفت بالحرب الباردة، التي بدأت بعد الحرب العالمية الثانية وانتهت بانهيار الاتحاد السوفييتي عام 1991.

صحيفة واشنطن بوست الأميركية نشرت في 5 نيسان (أبريل) 2014 مقالة للكاتبين بيتر فن وبترا كوفي (Peter Finn and Petra Couvée) استعرضا فيها تفاصيل تبني هذه الرواية الممنوعة من النشر في بلد المؤلف والإقدام على طبعها بالروسية ليتم تهريبها إلى الاتحاد السوفييتي[1].

في ضوء المقالة المذكور أعلاه، عندما يعيد الإنسان ترتيب تسلسل الأحداث سيجد أن شهرة هذا العمل الروائي لم تكن شهرة نابعة من قيمتها الأدبية وحسب، فمسار شهرتها ربما بدأ طبيعيا، عندما نشرها مترجمة إلى الإيطالية جانجاكومو فيلترينيلي (Giangiacomo Feltrinelli) عام 1957.

حسب ما تفصل المقالة، وجدت المخابرات البريطانية والأميركية في رواية «دكتور جيفاغو» سلاحا في الصراع الأيديولوجي مع الاتحاد السوفييتي، فوضعت خططا لطبعها بالروسية، وتم توفير الطبعة الروسية في معرض عالمي أقيم في بلجيكا عام 1958.

ولعل صورة الاستخدام الأيديولوجي للرواية تتضح أكثر عندما يلاحظ المرء اتباع النشر بحصول الروائي على جائزة نوبل عام 1958، ثم تحويلها بعد ذلك إلى فيلم سينمائي عام 1965.

ولكن ما يجب قوله هو أن رواية «دكتور جيفاغو» ليست حالة وحيدة، فهي واحدة من أمثلة عديدة على توظيف الأدب والفن لأغراض سياسية وأيديولوجية، فهذه ظاهرة معروفة، واستخدمت كثيرا أثناء الحرب الباردة.

في سياق متصل، تجدر الإشارة إلى أن العالم العربي شهد سجالا حول مجلة صدرت في عام 1962 اسمها «حوار» تولى رئاسة تحريرها الشاعر الفلسطيني توفيق صايغ. وقد أخذ على المجلة أنها تتلقى تمويلا من «منظمة حرية الثقافة العالمية»، التي كانت بدورها تتلقى تمويلا من وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية. وتعرضت «حوار» للانتقاد من جهات عدة، ومنعت من دخول مصر في عهد جمال عبد الناصر. وفي نهاية المطاف استقال توفيق الصايغ، وأغلقت المجلة في عام 1967.

تبقى هذه المقالة ناقصة إذا تجاهلت سؤالا يطرح نفسه: لماذا تنجح عملية توظيف رواية في إقلاق راحة نظام ولا تقدم أو تؤخر في نظام آخر؟

في رأيي أن النظام الذي يخشى النقد، حتى ضمن رواية أو عمل فني، يظن أنه يحمي نفسه، ولكنه في الحقيقة يظهر مواطن ضعفه، فيتم التركيز عليها إلى أن تنجح المحاولات. في المقابل، عندما يكون النقد ممارسة يومية شائعة، بشكل مباشر وليس في الأدب والفن وحدهما، يصبح النقد أمرا معتادا، فلا يؤدي إلى كبت المشاعر والسخط والاستياء وتراكم ذلك مع مرور الأيام، ويوفر حافزا لتصحيح القرارات والمسارات، بدل فرضها بالقوة إما لسوء فهم للأيديولوجيا، أو لخدمة مصالح الممسكين بالحكم ومن يدعمهم.

من نتائج كبت الحريات وعدم قبول النقد تراكم الامتعاض الشعبي، وبعد زمن يطول أو يقصر، يحدث الانفجار أو الانهيار، فالاستقرار المفروض بوسائل الإكراه أو شراء الذمم ينجح نجاحا مؤقتا. وخير دليل على ذلك ما حدث في أوروبا الشرقية في الثمانينيات، ثم انهيار الاتحاد السوفييتي. وتكرر الدليل في العالم العربي قبل ثلاث سنوات، عندما اندلعت تحركات جماهيرية تطالب بالتغيير أو رحيل النظام، وحدث ذلك بعد أن ظن المسيطرون على السلطة أن كل شيء يسير حسب أهوائهم.

[1] Peter Finn and Petra Couvée, 2014, «During Cold War, CIA used 'Doctor Zhivago' as a tool to undermine Soviet Union», Washington Post, 5 April 2014.

الرابط:

http://www.washingtonpost.com/world/national-security/during-cold-war-cia-used-doctor-zhivago-as-a-tool-to-undermine-soviet-union/2014/04/05/2ef3d9c6-b9ee-11e3-9a05-c739f29ccb08_story.html

تجدد الجدل حول العربية الفصحى والعامية

دارت في المغرب في الآونة الأخيرة [أواخر 2013] نقاشات حول الدعوة إلى استخدام اللغة العربية الدراجة بدل الفصحى في التعليم. وجرت في هذا السياق مناظرة تلفزيونية بين مطلق الدعوة، نور الدين عيوش، والمؤرخ المغربي، عبد الله العروي. النقاشات حول الموضوع كانت ساخنة، وأستهدف من الإشارة إليها توسيع دائرة الضوء لتشمل جوانب مختلفة من المواقف تجاه اللغة العربية التي تبرز بقوة من حين لآخر.

في دراستي الابتدائية وما بعدها، لم تكن الفصحى اللغة التي يستخدمها الأساتذة في التدريس، ولا حتى في دروس تعليم النحو. الأساتذة الذين علموني في مختلف المراحل قبل الجامعة كانوا يتحدثون باللغة الدارجة (العامية/ المحكية)، إلا إذا تطلب السياق، وخاصة في دروس اللغة العربية من نحو وخلافه، ودروس التربية الإسلامية. أما في غير ذلك من مواد، كالاجتماعيات والرياضيات والعلوم، فالأستاذ كان يستخدم اللغة المحكية.

كانت دروس اللغة العربية تشمل ما يسمى الإنشاء أو التعبير، أي كتابة نصوص حول موضوع يحدده الأستاذ أو يختاره الطالب، وهذه كانت تكتب بعربية فصحى، وتكون المقدرة على الكتابة بها على درجة التمكن من قواعد النحو والإملاء.

تكاد تجمع الآراء على تراجع مستويات التعليم في العالم العربي. الأسباب كثيرة، فمن غير الممكن أن تعاني الدول العربية من مشكلات اقتصادية واجتماعية وسياسية، وفي الوقت نفسه يبقى قطاع التعليم في منأى عن ذلك.

ما كنا نتقنه من قواعد النحو والإملاء بعد عشر سنوات من التعليم لم يعد يتقنه الكثير من الشابات والشباب في الجامعات، فقد كان هناك تركيز على قواعد الإملاء والنحو ووضوح الخط.

زاد الطين بلة ظهور الحاسوب والإنترنت، وغياب اللغة العربية منهما في البداية. ولذا تم طوعا استبدال الحروف العربية باللاتينية. ومع أنه تم الاهتمام باللغات الأخرى وصار من الممكن الكتابة بأي لغة باستخدام الحاسوب، إلا أن الحروف اللاتينية لا تزال تستخدم في كثير من الأحيان.

تبين بعد انتشار الإنترنت مدى ضعف مستويات الكتابة بلغة عربية سليمة، وتبين وجود أعداد كبيرة ممن يكتبون «أحسنتي» أو «أبدعتي» بدل أحسنت وأبدعت عند استخدام صيغة المخاطب المؤنث.

ولكن الضعف في إتقان اللغة العربية ليس مقتصرا على الشابات والشبان، جيل الحاسوب والإنترنت، فقد شاهدنا على شاشات التلفزيون مسؤولين وسياسيين وقضاة لا يحسنون قراءة نصوص كتبت لهم، ومن المؤكد بالتالي أن مقدرتهم الكتابية أسوأ. وهناك أيضا انتشار للمزج بين العربية والإنجليزية في الحديث، إما بحكم تلقي التعليم بلغة أجنبية، أو بحكم التكنولوجيا التي فرضت استخدام بعض المفردات.

ثمة من تنبأ باندثار اللغة العربية، وقد كتبت عن ذلك من قبل، واختلف مع هذا الرأي لوجود أدلة عديدة تناقضه. وهناك رأي آخر يحمّل اللغة العربية المسؤولية عن كل ما في العالم العربي من مشكلات، وهذا رأي مبني على وهم، فلا اللغة الإنجليزية ولا الفرنسية ولا غيرهما ستجعل متعلمها إنسانا «متحضرا» أكثر من الذي يتكلم العربية.

لو بحث الإنسان عن أسباب عملية لاختيار العربية الفصحى لوجد أسبابا وجيهة. وثمة سبب عملي أود الإشارة إليه، وهو النظر إلى اللغة العربية كلغة مشتركة (lingua franca) في العالم العربي، مثلما الإنجليزية عالميا.

فيما يتعلق بالنشر تحديدا، من يكتب بالإنجليزية يمكن بيع كتابه في الدول الناطقة بها. أما من يكتب بالدارجة في دولة عربية ما، فلن يكون للكتاب سوق خارجها. وسوق كل دولة عربية على حدة صغيرة، وخاصة بالمقارنة مع السوق المكونة من أسواق الدول العربية كلها. ولذا فان اختيار الكتابة بالدارجة تنطوي على التضحية بأعداد كبيرة من القارئات والقراء المحتملين في باقي الدول العربية.

لا شك في أن النقاشات حول اللغة العربية، قديمها وحديثها، ليست بريئة كلها أو دائما. وفي الوقت نفسه، العصبيات القومية لا تحل مشكلة بل تعقدها.

واعتقد أن الواقع سيظل مزيجا من الظواهر التي أشرت إليها أعلاه، فسوف تبقى اللغة العربية والمحكية بصورها المختلفة، والأجنبية كذلك.

ولكن هذه ليست دعوة لعدم محاولة تغيير الواقع. على سبيل المثال، صدرت **عـود الـنـد** للتشجيع على الكتابة بلغة عربية سليمة. تظهر العاميات في بعض النصوص في سياق حديث شخصيات. عدا ذلك، تستخدم في المجلة عربية فصحى معاصرة. وهي الآن المجلة التي ينشر فيها ويقرأها محبو اللغة العربية في كل مكان، وهم كثر.

الـعـدد 92: 2014/2

المكتبات الرقمية ضرورة

إذا بقي المعنيون من مؤسسات وأفراد متمسكين بالموقف الرومانسي الذي يفضل الورق وملمسه، ستظل تتسع الفجوة المعرفية بين دولنا النامية والدول التي تستغل التطور التقني وتضعه في خدمة العلم والمعرفة وتسهيل تسيير شؤون الحياة اليومية.

من الممكن أن نمضي الكثير من الوقت في الحديث عن مزايا الكتاب الورقي، والأسباب التي تجعلنا نفضل الورقي على الإلكتروني. ولا اعتراض لي على الحق الشخصي في تفضيل صيغة على أخرى، وأرحب بالكتاب الورقي عندما يكون متوفرا بسهولة. ولكن التمسك بالورقي كموقف جماعي تتبناه المؤسسات المعنية بالتعليم والبحث ودور النشر لن يعود بالفائدة لا عليها ولا على المجتمع عامة.

تتميز الجامعات الجيدة بوجود مكتبة جيدة، وبعض الجامعات كانت (ولا تزال) تفتخر بأن في مكتبتها مليون عنوان أو أكثر. ولكن قبل ظهور الإنترنت وانتشار الحواسيب، كانت المكتبات تواجه مشكلة في المساحة المتوفرة لحفظ الكتب والمجلات التي يزيد عددها كل سنة، ولذا كانت تلجأ إلى الميكروفيلم والميكروفيش، اللذين يحملان صورا مصغرة لصفحات الصحف، أو الرسائل الجامعية، فيتم الاطلاع عليها باستخدام جهاز خاص يكبّر الحروف، وطبع الصفحات التي تهم الباحث/ة.

ويعرف الباحثون والباحثات عن المراجع من كتب ودوريات أنها لا يمكن أن تتوفر في مكتبة واحدة، ولا يمكن الباحث/ة شراء كل المراجع ذات الصلة، حتى لو كانت المقدرة المالية متوفرة، فكثير من الكتب القديمة ليست متوفرة في المكتبات أو محلات بيع الكتب، واستخدام مكتبة غير مكتبة جامعتك غير ممكن بدون وجود اتفاقية تعاون بين مجموعة من الجامعات للسماح باستخدام أكثر من مكتبة واستعارة الكتب.

بعد ظهور الإنترنت وانتشار الحواسيب، وما رافق ذلك من إمكانية تصوير صفحات الكتب لتصبح متوفرة بصيغة إلكترونية، وإنتاج الجديد منها بصيغة إلكترونية، نشأت مؤسسات تقدم خدمة مهمة للجامعات ومراكز البحث، وهي تأسيس قواعد بيانات تكون في منزلة مكتبات إلكترونية تحتوي على ما نشر في الدوريات المتخصصة. من أشهر مؤسسات قواعد البيانات جيستور (Jstor)، وبروجكت ميوز (Project Muse)، وهناك غيرهما كثير، ولكل واحدة مجال تخصص.

يعرف كل من استعمل قواعد البيانات هذه فائدتها القصوى، فبالإضافة إلى إلغاء الحاجة إلى الذهاب إلى مكتبة جامعتك أو غيرها للبحث عن دورية لتصوير موضوع منشور فيها مهم لبحثك، صار من الممكن أن نجد الموضوع ونعرضه على شاشة الحاسوب في الجامعة أو البيت، وطبعه كاملا أو الجزء الذي يهمنا منه. ولا يحتاج الإنسان إلى خيال جامع لتصور الفائدة الناتجة عن هذه الخدمة وتسهيلها البحث العلمي والأكاديمي وتوفيرها الوقت والتكاليف على الباحث/ة.

لوجود الكتب، القديمة قبل الحديثة، بصيغة إلكترونية أهمية كبرى يجب ألا تغيب عن بال المؤسسات الحكومية التي تعنى بالتعليم، ودور النشر، ومراكز البحوث والدراسات، فالصيغة الإلكترونية للكتاب تجعله متاحا لكل المهتمات والمهتمين به في أي مكان في العالم خلال ثوان. وهذا يعني توسيعا

لنطاق الوصول إلى المعرفة، فلا يقتصر على طلبة الجامعات، أو ساكني المدن الكبرى، أو المواطنين في دولة واحدة والمجاورة لها على الأكثر.

أتمنى أن أرى قريبا مؤسسات مختصة بتقديم خدمات شبيهة بجيستور ومثيلاتها، وتكون مختصة طبعا بالمحتوى العربي من كتب ودوريات متخصصة أو عامة، وأن تكون هذه الخدمة متوفرة للأفراد مجانا أو مقابل رسم مالي معقول، وعدم قصر الاشتراكات على الجامعات ومؤسسات البحث مقابل اشتراكات مالية كبيرة متوافقة مع حقيقة أن في الجامعات أعدادا كبيرة من الطالبات والطلاب، فمأخذي على مؤسسات مثل جيستور أن قواعد البيانات لا يمكن الدخول إليها بعد انتهاء العلاقة بالجامعة.

إذا بقي المعنيون من مؤسسات وأفراد متمسكين بالموقف الرومانسي الذي يفضل الورق وملمسه، ستظل تتسع الفجوة المعرفية بين دولنا النامية والدول التي تستغل التطور التقني وتضعه في خدمة العلم والمعرفة وتسهيل تسيير شؤون الحياة اليومية. ولذا، وقبل أن نتأخر أكثر في وضع التكنولوجيا في خدمة المعرفة، أدعو المعنيين إلى التفكير بصورة استراتيجية ووضع خطط لتحويل المتوفر من كتب ودوريات وصحف إلى صيغة إلكترونية وبناء قواعد بيانات تكون متوفرة للاستخدام بيسر من المؤسسات والبيوت.

الـعـدد 102: 2014/12

المكتبة الجامعية المفتوحة دائما

بدأت منذ سنوات ظاهرة فتح بعض الجامعات البريطانية مكتباتها 24 ساعة. ويبدو أنها تجربة ناجحة إلى حد اعتبار ذلك أحد عوامل الترويج للجامعة.

بعد انتهاء ساعات دوام أمناء المكتبة المعتادين، يدور أحد العاملين في أمن الجامعة على الجالسات والجالسين في المكتبة لمشاهدة الهوية الجامعية. أما الدخول إلى الجامعات (والمكتبات) هذه الأيام فيتم باستخدام بطاقة ممغنطة توضع على قارئ إلكتروني في حاجز يفتح لك إذا تم التعرف على البطاقة الجامعية. وإذا قرر طالب أن يستعير كتابا ويغادر المكتبة، فبوسعه فعل ذلك باستخدام جهاز يسجل استعارة الكتب. وفي حال عدم فعل ذلك، يصدر صوت عن جهاز إنذار موجود عند مدخل/مخرج المكتبة.

لا ينكر المسؤولون في الجامعات أن عدد الطلبة في الليل لا يكون كبيرا، ولكن لا يبطل ذلك من وجهة نظرهم بقاءها مفتوحة، فكلفة ذلك ليست كبيرة، لأن أجهزة الحاسوب في المكتبة تتوقف عن استهلاك الكهرباء بعد وقت محدد بدون استخدام، والإضاءة تعمل وتتوقف حسب الحركة.

أما فوائد فتح المكتبة أبوابها طوال الليل فعلى رأسها الهدوء، فهي لا تكون مزدحمة، والكتب والمراجع الأخرى تكون متوفرة دون تنافس عليها من طلبة آخرين. والمقدرة على استخدام المكتبة ليلا مفيد للطلبة الذي يعملون

في النهار ويحضرون محاضرات مسائية، أو الذين يدرسون وفق دوام جزئي لارتباطهم بعمل قد تكون نوباته ذات ساعات مختلفة.

وكما يقول المسؤولون في الجامعات، فإن الطلبة الأجانب بين المستفيدين من المكتبة المفتوحة طوال الليل لأنهم يستطيعون التواصل مع أهلهم باستخدام الحاسوب في أوقات مناسبة للأهل نظرا لفرق التوقيت بين بريطانيا والدول التي يأتي منها الطلبة.

هل تؤدي هذه الظاهرة إلى تكريس عزلة الطالب/ة والانقطاع عن الحياة خارج الحرم الجامعي؟ هناك من يرى ذلك، ولكن لا يبدو أنه الرأي الشائع.

من الظواهر الجديدة الأخرى في المكتبات الاعتراف بأهمية الدراسة الجماعية، ولتمكين الطلبة من ذلك، يتم تخصيص بعض الغرف لهذا الغرض، أو السماح بالحديث والدراسة الجماعية في مكان محدد من المكتبة، في أحد الطوابق مثلا. وهذا مهم لأن بعض المواد الدراسية تعتمد على مشروع جماعي، وبالتالي جلوس أفراد الفريق معا للتخطيط والمناقشة والتنفيذ ضروري.

كما أن الاعتماد على الطاولات والكراسي فقط في المكتبة بدأ يتغير، وبدأ وضع مقاعد مريحة للجلوس وفي حضن الطالب/ة الحاسوب الصغير. أيضا بعض المكتبات تضع طاولات صغيرة كالمستخدمة في المنازل وبعض الكراسي حولها فتكون القراءة كما في البيت أو المقهى.

من المعروف عن المكتبة البريطانية أنها تمنع استخدام أقلام للكتابة سوى قلم الرصاص، وعند الرغبة في نسخ صفحات من كتاب، يمنع نسخ صفحتين حتى لا يتم الضغط على متن الكتاب فيتعرض للتلف بسرعة.

بدأت المكتبة البريطانية في الآونة الأخيرة بالسماح بتصوير صفحات من المراجع باستخدام الكاميرات الرقمية، فهذه تنتج صورا شديدة الوضوح، ولا تحتاج للضغط على متن الكتاب، وهي أيضا أقل كلفة على الراغب/ة في نسخ

بعض الصفحات. ولكن تشترط المكتبة البريطانية أن يكون النسخ من الكتاب للاستخدام الشخصي، وليس لأغراض تجارية.

لا خلاف على أهمية المكتبة الجامعية، وليس ضروريا أن يظل جوها متسما بالصرامة، وتدار وفق قيود شديدة، بل يجب أن تظل المغناطيس الذي يجذب الطالبات والطلاب لقضاء أكبر وقت ممكن فيها، نتيجة لتوفر المراجع والجو المريح ساعات عديدة، إن لم يكن على مدار الساعة. وإذا تم ذلك، سيكون الطلبة والجامعات أول المستفيدين من نجاح الطلبة، وسينتج عنه تراكم معرفي مفيد للبلد والإنسانية.

الـعـدد 106: 2015/4

التعليم بالعامية ونسب النجاح المتدنية في الثانوية/البكالوريا

مع صدور هذا العـدد، 111 [2015/9]، يكون العام الدراسي في المراحل التعليمية قبل الجامعية قد بدأ، أو على وشك أن يبدأ، ثم يبدأ العام الدراسي الجديد في مراحل التعليم الجامعي. أرجو للطالبات والطلاب والمعلمات والمعلمين في جميع المراحل والمؤسسات التوفيق في عامهم الجديد.

أود في هذه الكلمة أن أعلق على بعض ما تابعته خلال الأسابيع الماضية من أمور تتعلق بالتعليم، وأبدأ بالجدل الدائر في الجزائر حول استخدام اللغة الدارجة في تعليم تلاميذ الصفين الأول والثاني ابتدائي، بناء على توصية من ورشة عقدت في الجزائر في تموز (يوليو) الماضي [2015][1]. وقد ذكرني ذلك بجدل مماثل حدث في المغرب قبل نحو سنة[2].

هناك العديد من الأمثلة خارج العالم العربي على وجود أكثر من لغة في البلد الواحد، منها الهند وباكستان وأفغانستان وبلجيكا وإسبانيا وبريطانيا. الأسلوب الذي كان شائعا ولا يزال مستمرا اعتماد لغة رسمية. ولكن بعض الدول تعترف بأكثر من لغة داخل البلد الواحد، ككندا.

لا أرى مشكلة في وجود تنوع لغوي داخل البلد الواحد. وحتى لو كانت هناك لغة رسمية واحدة، لا مشكلة أيضا في أن تكون المعلومات التي يحتاجها

المواطن، كالحصول على الرعاية الصحية، أو تعليمات الحصول على جواز سفر، مثلا، متوفرة بلغات مواطني البلد الواحد الذي يوجد فيه تنوع لغوي.

ولكن، ومن منطلق عملي، من الضروري أن تكون في أي بلد لغة مشتركة. ومن المنطقي أن تكون هذه اللغة المشتركة العربية في دول المنطقة المعروفة بالعالم العربي، فهي شائعة الاستخدام منذ زمن بعيد، ولها صلة وثيقة بدين أغلبية سكان المنطقة من خلال القرآن الكريم. ولذا فإن استخدام العربية في التعليم لا يكون نابعا من رغبة في طمس لغة فئة أخرى من المواطنين أو هويتهم الفرعية الخاصة ضمن العامة التي تنسب إلى اسم الدولة.

استخدام اللغة المشتركة في التعليم في كل مراحله أمر منطقي، فالطفل لديه الاستعداد لتعلم اللغة والرياضيات والعلوم والفنون، وتعلم أشياء جديدة هو الهدف من إرساله إلى المدرسة. وتعلم لغة غير اللغة الأم أسهل ما يكون في مرحلة الطفولة، والدليل على ذلك، أن من يسافر لإكمال دراسته الجامعية في بلد أجنبي يكون تعلم اللغة الجديدة أصعب مهمة يواجهها، وقد لا يتقنها كمن تعلمها في الصغر حتى لو قضى بقية العمر في البلد الجديد.

أما النقطة الثانية التي أود التعليق عليها فهي متعلقة بالإعلان عن عدم نجاح أحد من الطلاب في 86 مدرسة[3] في الأردن في امتحانات الثانوية العامة، التي تسمى البكالوريا في دول عربية أخرى. هناك من رأى في ذلك مؤشرا على انحدار مستويات التعليم، ولكني أرى أن القضية هنا تشير إلى ما هو أكبر من ذلك. وقد تبين أن المدارس التي لم يحالف جميع طلابها النجاح هي في الأطراف، ولا يتوفر فيها ما يتوفر للطلاب والطالبات في المدارس في المدن الكبرى.

في زمن ليس بعيدا، كان هناك حرص على أن تشمل التنمية مختلف أنحاء البلد، ولكن هذا الأسلوب تراجع شيئا فشيئا أمام منتقدي ما سمي «الهندسة الاجتماعية» الذين يسعون إلى تقليص دور الدولة، وترك كل شيء

للأسواق. ولكن المحصلة في النهاية تكون نشوء واتساع الفوارق بين المواطنين وتهميش فئات منهم.

ولذا كل دولة يجب أن تحرص على توفير مجموعة من الأساسيات لمختلف مناطق البلاد، مهما كانت بعيدة عن العاصمة، فالدولة التي يتدهور فيها التعليم ستحصد النتائج السلبية المترتبة على ذلك خلال جيل أو اثنين على الأكثر، ويصبح بلا معنى الحديث عن القدرة التنافسية وجذب الاستثمارات وغير ذلك من عبارات يكررها المسؤولون في الدول كثيرا.

ومن الملف للنظر أيضا ظاهرة نجاح أقل من نصف الطلبة المتقدمين لامتحانات الثانوية العامة، فقد بلغ في الأردن هذا العام 41% (نسبة النجاح في الفرع العلمي 59% وفي الأدبي 21%)[4]. يمكن أن يسارع المرء ليقول إن هذا يدل على تدهور مستوى التعليم، أو وجهة النظر المناقضة، أي يدل على مستوى التعليم المرتفع، فالناجحون هم المتمكنون فقط.

لي رأي مختلف، فالهندسة الاجتماعية التي أشرت إليها أعلاه لها جانب سلبي يتمثل أحدها في نتائج امتحانات الثانوية العامة، ففي كل سنة أسمع الحكاية نفسها: أن امتحان الرياضيات كان صعبا، أو أن امتحان الإنجليزية كان تعجيزيا، وهكذا. جموع الطلبة ليسوا على خطأ في هذا الانطباع، فنسبة النجاح العامة المتدنية مقصودة، إما لأن جامعات البلاد لن تستوعب الناجحين لو كانت نسبة النجاح أعلى، أو لإرغام الطلبة على الاتجاه نحو التعليم المهني.

فـي رأيي أن وزارات التعليم يجـب أن تسعى إلى تحقـيق نسب عـالية من النجـاح في امتحانات الثانوية العامة، وتوفير مرونة في إجراءات الالتحاق بالجامعات. ثمة ظاهرة شائـعة في بريطانيا، وهي امتناع عـدد كبير من الطلبة على الالتحاق بالجامعـة فـورا بعـد نجاحهم، بل الاستراحة سنة، تُقضى إما في السياحة، أو في عمل، وبعد ذلك يلتحق الواحد منهم بالجامعة إذا قرر إكمال الدراسة.

سيكون الطالب في رأيي أكثر استعدادا للبحث عن عمل أو تعلم مهنة بعد أن يكون نجح في الثانوية العامة، فهو يشعر أنه حقق إنجازا، وهو من اتخذ قرار عدم الدراسة، وليس لأن امتحانا صعبا في إحدى المواد قرر له مصيره وهو في مقتبل العمر. وعندما يكون الالتحاق بالجامعات ممكنا في أي وقت من العمر، بدوام جزئي أو كامل، يتغير موقف الطلاب وأهاليهم، فمستقبل الطالب/ة لا يعود متوقفا على فرصة واحدة، أو على السير في مسار واحد.

(هـوامـش)

الـعـدد 111: 2015/9

عام دراسي جديد

نحو الارتقاء بمستويات التعليم

يصدر هذا العـدد [99: 2014/9] متزامنا إلى حد ما مع بدء العام الدراسي الجديد للمراحل قبل الجامعية، وعليه أرجو لكل الطالبات والطلاب والمعلمات والمعلمين والمنخرطين في سلك التعليم عاما دراسيا طيبا.

تكرر في السنوات الأخيرة ظهور أدلة دامغة على تدهور مستويات التعليم في الدول العربية. ومن مظاهر ذلك تفشي الغش وتسريب الأسئلة قبل الامتحانات، واستخدام أجهزة إلكترونية في مساعدة الطلبة على الإجابة عن الأسئلة وهم في قاعات الامتحانات.

من المعلومات الصادمة التي كشفت بعد الإعلان عن نتائج امتحانات المرحلة الثانوية في الأردن في الدورة الصيفية (2014) عدم نجاح أي طالب من 342 مدرسة حكومية وسبع مدارس خاصة. وكشف النقاب أيضا عن انخفاض نسبة النجاح في أكثر من نصف المدارس الخاصة إلى 50%.

أمكن كشف مواطن الضعف هذه بعد اتخاذ وزارة التربية والتعليم الأردنية إجراءات مشددة لمكافحة الغش، فبلغت نسبة النجاح العامة 40%، وانخفض إلى واحد فقط عدد الحاصلين على معدلات تفوق 99%. ومن

المعلومات المذهلة أيضا أن أكثر من أربعين ألف طالب وطالبة استنكفوا عن تقديم الامتحانات.

لن آتي بجديد عندما أتحدث عن أهمية التعليم ليس في نهضة المجتمعات وحسب، بل للأفراد والعائلات، فطالبة متفوقة أو طالب متوفق في عائلة فقيرة ينتشل الأسرة من أوضاعها الصعبة ويحسن مستواها بعد إتمام الدراسة والحصول على عمل. ولذا لن أطيل الحديث حول أهميته.

لماذا تدهورت مستويات التعليم؟ الأسباب عديدة، ومنها عدم توفير الموارد اللازمة، من مبان ومعدات، وتدهور مكافأة المعلمات والمعلمين، فمهنة أستاذ/ة لا تعني راتبا شهريا يكفي لتلبية متطلبات العيش الكريم، فنتج عن ذلك عدم الاكتراث بالطلبة، واللجوء إلى إعطاء دروس خصوصية لتحسين الدخل.

ولتدهور مستويات التعليم صلة وثيقة بالوضع العام في المجتمع، فهناك اختلال في القيم، وتفاوت كبير في دخل أغلبية الناس ومتطلبات العيش، فإيجارات البيوت وحدها ترهق كاهل العائلات، ويضاف إلى ذلك غلاء الأمور الأساسية كالمواصلات والمواد الغذائية.

مهمة وقف التدهور الحالي في مستويات التعليم ستحتاج إلى جهود كبيرة. والأهم من وقف التدهور الارتقاء بها ثانية، ولا يمكن أن يتم ذلك دون توفير الموارد اللازمة، واعتبار التعليم مسألة حيوية لا تقل أهمية عن حفظ أمن الدولة والمواطنين.

ومع بدء العام الدراسي الجديد آمل ألا يظن أحد أن المبادرة الفردية عديمة الفائدة، ولذا أتمنى من كل من يعمل في مجال التعليم بين كاتبات وكتاب وقارئات وقراء **عـود الـنـد** تخصيص نصف ساعة في الأسابيع الأولى من بدء التدريس للفت انتباه الطالبات والطلاب إلى ضرورة الاهتمام بأساسيات الكتابة، فالكتابة والقراءة أساس لا غنى عنه في أي مهنة. أما طلبة الجامعات،

فبالإضافة إلى الأساسيات يجب تعلم مبادئ توثيق البحوث قبل انتهاء السنة الجامعية الأولى.

نتيجة الاهتمام بالتعليم في الدول المتقدمة، لا توجد أحكام قضائية مليئة بالأخطاء اللغوية، ولا يلقي وزير أو مسؤول خطابا ليس سليما لغويا، ولا يعمل أحد في الصحافة دون أن يكون ملما بالكتابة وأساسياتها. لا تقبل من أحد أعذار في هذا الشأن.

وسيكون مفيدا لمستقبل الطالبات والطلاب تشجيعهم على الكتابة الإبداعية من قبيل القصص والخواطر، وكتابة التقارير أو البحوث، فالممارسة تقود إلى إتقان المهارات الأساسية. وفي الجامعات التي لا يوجد فيها دليل لتوثيق البحوث، اقترح على أساتذة الجامعات الطلب من المسؤولين عن المكتبات إعداد دليل يكون متوفرا على موقع الجامعة، وبصيغة ورقية في المكتبة.

وفي الختام لا أنسى أن العام الدراسي الجديد يبدأ في قطاع غزة بعد عدوان وحشي أسفر عن وقوع الآلاف من الشهداء والجرحى، وتشريد أكثر من ربع مليون إنسان[1]، حسب تقدير وكالة الغوث (UNRWA). يضاف إلى ذلك تدمير البيوت والأحياء على نطاق واسع. وقد طال التدمير المدارس والجامعات. ولذا سيبدأ العام الدراسي في قطاع غزة والوضع أسوأ بكثير مما كان عليه، علما بأنه كان سيئا نتيجة حصار بري وبحري وجوي مفروض منذ سنوات.

ولكني على يقين من أن طالبات وطلاب غزة، صغارا وكبارا، لن يستسلموا لهذه الظروف الصعبة، وسوف يحرصون على الإقبال على التعليم والتفوق فيه، فأرجو لهم وكل الطلبة في كل مكان نيل أمانيهم وتحقيق أحلامهم.

= = =

[1] http://www.unrwa.org/gaza-emergency

ملاحظة: لتسهيل مهمة المعلمات والمعلمين الراغبين في توجيه الطالبات

والطلاب نحو إتقان أساسيات الكتابة، أعدت **عـود الـنـد** دليلا يمكن تحميلة باستخدام الرابط أدناه، ويضم أحكام الطباعة (مفصل)؛ استخدام علامات التنقيط (الترقيم)؛ توثيق البحوث والمراجع؛ ومجموعة من الدروس الموجزة التي تعين على تفادي أخطاء إملائية ونحوية شائعة.

http://www.oudnad.net/maktaba/dalil_kitaba_oudnad_2014.pdf

الـعـدد 99: 2014/9

الحق في التعليم في المواثيق الدولية

كنت أبحث في الآونة الأخيرة [2015] عن موضوع مناسب لإصدار عدد خاص من **عـود الـنـد**، فوجدت موقعا يعنى بالحق في التعليم. وبعد تصفح محتوياته، وجدت صفحة تورد الحق في التعليم في المعاهدات والاتفاقيات الدولية والإقليمية، ولكن المعلومات المنشورة فيها كلها بالإنجليزية.

أدركت عندئذ أني وجدت فكرة مناسبة لعدد خاص، ولا تستدعي إعادة اختراع العجلة، فالموضوع مهم، والمعلومات المتوفرة بالإنجليزية ستكون مفيدة بالعربية. وهكذا استعنت بالموقع لتحديد المعاهدات والاتفاقيات التي يرد فيها الحق في التعليم، ثم بحثت عن النص العربي لهذه المواثيق لنشر البنود المتعلقة بالتعليم. والنتيجة هذا الـعـدد الخاص من **عـود الـنـد** [118] عن الحق في التعليم في المعاهدات والاتفاقيات الدولية.

اخترت ترجمات جاهزة، أعتقد أنها كلها ترجمات رسمية، وهي موجودة في مواقع تابعة للأمم المتحدة وهيئاتها المختلفة، كمكتب المفوض السامي لحقوق الإنسان، إضافة إلى موقع متخصص تابع لجامعة منيسوتا الأميركية الذي يحتوي على مكتبة تعنى بوثائق حقوق الإنسان باللغة العربية.

موقع «مشروع الحق في التعليم» يشمل اتفاقيات إقليمية وغيرها، وهو أيضا يذكر الحق في التعليم ضمن سياق أوسع، مثل البنود التي تحرم التمييز

بشكل عام. ولذا تتطابق المعلومات أحيانا في بعض صفحات الـعـدد الخاص هذا مع الصفحات المقابلة لها بالإنجليزية، ولا تتطابق في أحيان أخرى، فقد وجدت من الأنسب في الـعـدد الخاص التركيز على الحق في التعليم عندما يكون مذكورا بشكل محدد، وليس بشكل عام غير مباشر.

لا يخفى على أحد أن الهوة بين الحقوق القانونية والتمتع بها في الواقع أمران مختلفان، فالدساتير في الدول النامية، كدولنا العربية، تتحدث عن حريات مكفولة، ولكن ممارستها ممنوعة. والتعليم حتى لو كان متاحا بالمجان لا يمنع بعض الأهالي من حرمان الأبناء والبنات من فرصة التعليم. ولذا نشر الوثائق الحقوقية غايته التذكير بأهمية التعليم، وليس مجرد التذكير بحقوق ستبقى حبرا على ورق إذا لم تمارس.

قبل عقود قليلة، لم يكن هناك الكثير من الاهتمام بالتعليم للذكور والإناث، ولكن عندما توفر التعليم المجاني، وأدى التعليم إلى تطور نوعي في شخصية وحياة الإنسان المتعلم وانعكس ذلك إيجابا على عائلته، أدرك الأهل أهمية التعليم، وصاروا يحرصون على تعليم أبنائهم وبناتهم. ورغم ذلك، لا تزال هناك عقبات، على رأسها في الدول العربية القيود العائلية التي توضع على تعليم المرأة، كعدم السماح لها بالسفر وحدها لإكمال تعليمها الجامعي.

الفقر أيضا عامل أساسي في حرمان الكثيرين من التعليم، بما في ذلك التعليم الابتدائي، فالفقر يؤدي أحيانا إلى دفع الصغار إلى العمل بدل الذهاب إلى المدرسة. وبعد أن كان التعليم الجامعي مجانيا أو قليل التكاليف، صارت تكاليفه في هذه الأيام عبئا على معظم العائلات، سواء أكان التعليم في الجامعات الحكومية أم الخاصة التي يشير انتشارها إلى عودة تدريجية لظاهرة اعتبار التعليم أمرا للنخبة، وليس حقا للجميع، وفق الأداء الدراسي، لا المقدرة المالية.

وبدأ يتزايد منذ سنوات إدراك أهمية التعليم لفئات أخرى من المجتمع، مثل فئة ذوي الإعاقة، الذين كانت إعاقتهم تعني في الماضي القريب حكما قاسيا بالبقاء في البيت. هناك حرص الآن في الدول المتقدمة على تذليل كل العقبات التي تواجه ذوي الإعاقة، والأمل أن تبذل جهود أكبر في الدول العربية والنامية عموما من أجل إعطاء ذوي الإعاقة والاحتياجات الخاصة فرص التعليم والمشاركة في الحياة الاجتماعية أسوة ببقية أفراد المجتمع.

وتجب الإشارة في هذا الـعـدد الخاص بالحق في التعليم إلى ظاهرة تدهور مستويات التعليم، وأوضح دليل على ذلك انتشار ظاهرة الغش، وحصول الطلبة على معدلات لم يمكن يسمع بها أحد في الماضي إلا نادرا.

وقد بدأت مكافحة الظاهرة المدمرة للتعليم والمجتمع بإجراءات مشددة في بعض الدول العربية. ولكن هناك قضية جوهرية أخرى لا شك لدي في أنها ساهمت في تدهور مستويات التعليم، وهي وضع المعلم، الذي كان قبل عقدين أو ثلاثة صاحب مهنة محترمة. أما اليوم فيتم التعامل مع المعلم كما لو كان التعليم مهنة روتينية كتلك التي تمارس في الدوائر الحكومية، وبالتالي لا تستحق مكافأة مالية تبقي المهنة في مصاف المهن الأخرى التي يوليها المجتمع احترامه، مثل مهنة الطبيب.

طبعا من حق كل العاملين الحصول على أجور عادلة، ولكن قرع ناقوس الخطر هنا يتعلق بظاهرة التعامل مع مهنة التعليم كمهنة عادية، لأن أعداد المعلمين كثيرة نتيجة حاجة المجتمع إلى ذلك، فمعدلات الإنجاب في الدول النامية عالية، وبين السكان نسبة عالية من صغار السن، خلافا للحال في الدول المتقدمة. وبدلا من إبقاء رواتب المعلمات والمعلمين متدنية، يجب تخصيص نسبة أكبر من الميزانيات للتعليم، فالتوفير (بل التقـتير) في هذا المجال على المدى القصير، مضر بالمجتمع والدولة والوطن على المدى الطويل.

في الختام، آمل أن يكون في هذا الـعـدد الخاص، الوثائقي، فائدة للمختصين في الشؤون التربوية والقانونية والتربوية والأهالي أيضا ليس فقط في خلال المعلومات المنشورة فيه، بل من كونه دعوة إلى كل شخص مسؤول، بصفة رسمية أو غير رسمية، لإتاحة الفرصة لكل فرد في المجتمع للحصول على القدر المرغوب من التعليم، ففي نهاية المطاف سيكون المستفيد المجتمعات والأوطان.

(هـوامـش)

الـعـدد 118: 2016/3/8: عدد خاص

المرأة والسلام

ضحايا الحروب والنزاعات المسلحة الرجال والنساء والأطفال، وليس المتحاربون فقط. ولكن لا مبالغة في القول إن للحروب آثارا أكبر على النساء، بعضها طويل الأمد، فالنساء في النزاعات عرضة للاغتصاب المنهجي، وإذا نجون، يتحول الكثير من المتزوجات إلى أرامل، وتنتقل مسؤولية إعالة الأسر إليهن نتيجة مقتل أو إصابة أو خطف معيل الأسرة، دون أن يكون لهن المقدرة على ذلك، فيصبحن ضحايا للفقر، والعيش على المعونة والإحسان.

واعترافا بالأثر الأكبر للحروب والنزاعات على النساء، تبنى مجلس الأمن الدولي في 31 تشرين الأول (أكتوبر) 2000 القرار رقم 1325، الذي رأي أنه «من الممكن أن يؤدي فهم آثار الصراع المسلح على المرأة والفتاة، وتوفير ترتيبات مؤسسية فعالة لضمان حمايتهما ومشاركتهما الكاملة في عملية إحلال السلام، إلى الإسهام بدرجة كبيرة في حفظ السلام والأمن الدوليين وتعزيزهما»[1].

وبناء على ذلك، حث مجلس الأمن الدول الأعضاء في الأمم المتحدة «على ضمان زيادة تمثيل المرأة على جميع مستويات صنع القرار في المؤسسات والآليات الوطنية والإقليمية والدولية لمنع الصراعات وإدارتها وحلها»[2].

لا يمكن للإنسان أن يختلف مع الأهداف النبيلة للمؤسسات الدولية أو غيرها، بما في ذلك الجمعيات الأهلية الصغيرة، حتى لو كانت غير رسمية. ولكن الحديث عن أهداف نبيلة دون سياق يكون منفصلا عن الواقع، وهذا ما يلمسه من يقرأ الدراسة ذات العلاقة بهذا القرار التي أعدتها اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا التابعة للأمم المتحدة (ESCWA)، بالتعاون مع الاتحاد البرلماني الدولي ولجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لأفريقيا.

عنوان الدراسة: «تحديد الفجوات التشريعيّة في تطبيق قرار مجلس الأمن 1325 (2000) حول المرأة والأمن والسلام في دول عربيّة مختارة»، هي تونس وليبيا ومصر واليمن والعراق ولبنان وفلسطين. تقول الدراسة إنها وجدت «حاجة ماسة إلى مراجعة التشريعات، من أجل القيام بمسؤولية تطبيق القرار 1325 ... وبالرغم من بعض التحسن خلال السنوات الماضية، فإن الدول العربية لا تزال تسجل أدنى مستويات مشاركة النساء في الهيئات التشريعية المنتخبة، وكذلك في مستويات صنع القرار على الصعيد التنفيذي الحكومي»[3].

من حيث المبدأ، لا اعتراض لي على مراجعة التشريعات، ولكن المواطن في الدول العربية تحديدا يعرف أن التشريعات والواقع لا يتشابهان كثيرا، فالدساتير تكفل حرية التعبير، ولكن هذه الحرية غير موجودة أو مقيدة بقيود كثيرة. وبالتالي من الممكن جدا سن قوانين ذات علاقة بقضايا المرأة دون أن يكون لها أثر على تحسين أوضاع النساء بشكل عام.

أما الانفصام الواضح عن الواقع فهو جلي في الجزء المتعلق بفلسطين، فالدارسة تقول: «وفي فلسطين، حيث تستمر المفاوضات الآن لأكثر من عشرين سنة، لم تشارك في الوفود الفلسطينية المختلفة فيها سوى بضع نساء»[4].

هل لو شارك عدد أكبر من النساء الفلسطينيات في المفاوضات لما احتاجت أن تستمر أكثر من عشرين عاما دون أن تتوج باتفاق؟ هل لو ترأست

حنان عشراوي أو غيرها وفد المفاوضات والمفاوضين الفلسطيني بدلا من صائب عريقات أو غيره لكانت النتيجة أفضل؟

ولو نظرنا للأمر من الجهة الأخرى، هل لو ترأست وفد المفاوضات الإسرائيلي تسيبي ليفني، وبمشاركة عدد أكبر من المفاوضات الإسرائيليات لكانت النتيجة أفضل؟ الإجابة الساذجة ستكون نعم، أما الواقعية فلا علاقة لها بجنس أعضاء الوفود المفاوضة.

في المفاوضات الفلسطينية-الإسرائيلية، كما في غيرها، ميزان القوى هو الذي يحكم عملية تقديم التنازلات في المفاوضات، وليس جنس أعضاء الوفد، أو مهاراتهم. كل من يشارك في مفاوضات يدخلها وهو يعرف أوراق قوته وضعفه، والحد الأدنى لما يقبل به والأحد الأقصى لما يمكن أن يحصل عليه وفق ميزان القوى وأوراق القوة والضعف.

لا أحد يدخل مفاوضات بأجندة مفتوحة فيحصل فيها طرف على كل ما يريد من الآخر بمهارة في التفاوض، وأحد الأطراف يقدم كل ما يريده الآخر عن طيب خاطر. بعض المفاوضات شكلي وقد تكون غايته فرض طرف إرادته على الآخر، مثلما فعل الجنرال الأميركي نورمان شوارتزكوف في مفاوضاته مع الفريق العراقي سلطان هاشم أحمد في خيمة قرب الحدود بين العراق والكويت عام 1991، أو يكون شكليا ويستمر إلى ما لا نهاية لأن أحد الأطراف لا يريد التوصل إلى اتفاق.

ولكي أوسع أفق النقاش المتعلق بالمرأة في صنع القرار، أود أن أشير إلى أن الواقع يؤكد أن تصرف المرأة في المنصب الرسمي لا يختلف عن تصرف الرجل. لم يختلف تصرف غولدا مئير، رئيسة وزراء إسرائيل، وانديرا غاندي، رئيسة وزراء الهند، ومارغريت ثاتشر، رئيسة وزراء بريطانيا، وهيلاري كلنتون، وزيرة الخارجية الأميركية، وغيرهن، عن تصرف نظرائهن الرجال في حالات

السلم والحرب. ولذا يمكن القول إن في قرار مجلس الأمن 1325 ودراسة اسكوا المرتبطة به من النيات الحسنة أكثر مما يسمح به الواقع.

وفي الختام يجب ألا تغيب عن البال مفارقة أن مجلس الأمن الذي تبنى القرار 1325 لا يملك في الواقع المقدرة على صنع قراراه، فهناك خمس دول دائمة العضوية تحظى بحق النقض/الفيتو (الولايات المتحدة وروسيا والصين وبريطانيا وفرنسا)، فإذا لم تحصل إحدى الدول الخمس على القرار الذي يناسبها لاستخدام القوة ضد بلد ما، لا تمتنع الدولة المعنية عن شن حرب أو القيام بأعمال عسكرية باستخدام ذرائع أخرى. وتكون النتيجة الكثير من الدمار والعديد من الضحايا من الرجل والنساء والأطفال. ولذا فإن الثغرة الأكبر في تطبيق القرار 1325 ليس في التشريعات المحلية، بل في عجز مجلس الأمن الدولي عن فرض إرادته على الدول الكبرى التي تفرض أرادتها على دول أخرى بالقوة، بقرار من مجلس الأمن أحيانا، وبدون قرار في أحيان أخرى.

(هـوامـش)

الـعـدد 115: 2016/1

الكتابة المحايدة جندريا

هل الكتابة بالعربية بحياد جندري ممكنة؟

الجنس في سياق تصنيف البشر نوعان: ذكر وأنثى. وتصنف الكلمات والأفعال والضمائر في اللغة العربية إلى نوعين: مذكر ومؤنث. في اللغة الإنجليزية هناك كلمتان مختلفتان لتصنيف البشر والكلمات. في حال البشر الكلمة هي سكس (sex)، وجندر (gender) في حال الكلمات. حُمّلت كلمة الجنس معاني إضافية، ولم تعد تستخدم فقط في سياق تصنيف الذكر والأنثى والمذكر والمؤنث. ورسخ المعنى الإضافي النظرة التي تكبل المرأة ولا تعترف بكيانها إلا في سياق مرتبط بدورها كزوجة وأم أولا وأخيرا.

وجود كلمة رديفة للجنس بمعنى النوع بالإنجليزية، وهي جندر، أتاح المجال للحديث عن مسألة المساواة بين الرجل والمرأة دون الإشارة للجنس بمعنييه. شاع استخدام مصطلح جندر، ويستعمل كما هو في الكثير مما يكتب بالعربية أو يترجم إليها. ولكنه أيضا ترجم إلى «النوع الاجتماعي». وكلاهما شائع الاستخدام.

تحول الجندر (النوع الاجتماعي) من مصطلح إلى قضية تعطى الكثير من الاهتمام، فصار يطلب من كل الهيئات الرسمية أو الخاصة أن تأخذ في الحسبان أثر الميزانيات والبرامج والمشاريع على الجندر.

وانتشرت في الدول الناطقة بالإنجليزية ظاهرة الكتابة بصيغة غير متحيزة للذكر، فالكلمات التي ارتبطت بكلمة رجل (man) استبدلت. على سبيل المثال، الناطق الرسمي باسم هيئة ما، سبوكسمان (spokesman)، صار سبوكسبيرسون (spokesperson). وهذا المصطلح محايد، ولا نعرف منه إن كان الشخص رجلا أم امرأة. وهناك بدائل مقترحة لكل الكلمات التي تشكل (man) جزءا منها.

عنما نقول في اللغة الإنجليزية ستيودانت (student) فهذا يشمل الطالب والطالبة. الجملة التالية محايدة جندريا:

The student must submit the paper on time.

(الطالب/ة يجب أن يسلم/تسلم الورقة في الموعد).

ولكن عندما نستخدم ضميرا مذكرا بعد (student)، نكون وضعنا الجملة في سياق غير محايد جندريا. على سبيل المثال. لو قلت بالإنجليزية:

The student must submit his paper on time.

الجملة بهذه الصيغة منحازة للمذكر. ولذا من الممارسات الشائعة الآن أن تكتب على النحو التالي:

The student must submit his/her paper on time.

بهذه الصيغة تمت الإشارة إلى الطالبة والطالب.

عند محاولة الكتابة بالإنجليزية بصيغة محايدة جندريا، أو تعترف بالمذكر والمؤنث في آن واحد، تصطدم النيات الحسنة بقواعد اللغة. ولكن البديل لم يكن في الكف عن المحاولة، بل في البحث عن بدائل تحقق الحياد الجندري، بحيث تظل قراءة ما يكتب سلسة.

من الاقتراحات على الكاتبات والكتاب بالإنجليزية استخدام صيغة ضمير الجمع (they) حيثما أمكن، فهو بالإنجليزية يشير في آن واحد إلى أكثر من مذكر وأكثر من أنثى.

في اللغة العربية هناك تخصص أكبر في الضمائر، فالمثنى له ضمير خاص. وكثيرا ما يحتار المترجم/ة عند مواجهة كلمة مثل (teachers)، فما لم تكن هناك قرينة تؤكد الـعـدد، قد يفترض المترجم/ة أنهم معلمون أو معلمات، وليس معلمين اثنين، أو معلمتين اثنتين. وإذا كان الـعـدد مهما في سياق الموضوع، تكون الترجمة غير دقيقة. ولو كان الأمر متعلقا بهجوم مسلح وكانت الترجمة: هاجم مسلحون بدل هاجم مسلحان، قد تبدو الترجمة مغرضة وتريد المبالغة.

في الأسابيع القليلة الأخيرة كثفت الاطلاع على النصائح المتعلقة بالكتابة بالإنجليزية بصيغة محايدة جندريا. ووجدت أن المهمة رغم حاجتها إلى بعض الجهد أكثر سهولة من اللغة العربية. على سبيل المثال، كلمة زوجة (wife) أو زوج (husband) تستبدل بكلمة (partner) أي شريك أو شريكة، أو بكلمة (spouse). ولكن هذه النصيحة لن تجدي نفعا في اللغة العربية فالكلمات البديلة لزوج/زوجة غير محايدة جندريا.

يكتب المسمى الوظيفي في مصر بصيغة المذكر حتى لو كانت امرأة تشغل المنصب. على سبيل المثال: عميد كلية الآداب، فلانة الفلانية. بهذه الطريقة نكون استعرنا من اللغة الإنجليزية فكرة أن كلمة مثل (teacher) تعني أستاذا وأستاذة، ولن نعرف بالضبط إلا من قرينة أخرى كالاسم بعد المسمى الوظيفي.

هل سيمكن تعميم هذه الممارسة لتشمل سياقات أخرى غير المسمى الوظيفي؟ وهل سيحظى ذلك بالقبول؟ تساؤلان لا أملك الإجابة عنهما، فهما جزء من القضية الأوسع التي أطرحها في هذه الكلمة. الاستنتاج المحدود الوحيد الذي أمكنني الوصول إليه بعد الاطلاع على الكثير من النصائح عن

الكتابة بصيغة محايدة جندريا هي أن لكل لغة خصائصها، والكثير من النصائح المتعلقة باللغة الإنجليزية غير قابلة للتطبيق في اللغة العربية.

أحيانا تكون اللغة العربية طيعة فيمكن أن نكتب جملة بدون تشكيل ويمكن أن تقرأ بصيغة المذكر أو المؤنث. على سبيل المثال: إذا أردت النشر في **عـود الـنـد** يمكنك ذلك. هذه الصيغة يمكن أن تقرأ في سياق مذكر ومؤنث.

الحياد الجندري ممكن جزئيا في الشطر الأول من بيت المتنبي: إذا أنت أكرمت الكريم ملكته. الجزء الأول (إذا أنت أكرمت) يمكن أن يقرأ بصيغة مذكر أو مؤنث. أما الجزء الثاني فليس محايدا إلا إذا كتبنا الجزئين هكذا: إذا أنت أكرمت الكريم/ة ملكته/ـا.

ويكفي أحيانا أن نضيف /ة بعد كلمة لجعل السياق ينطبق على الذكر والأنثى. مثلا: كل أستاذ/ة محل احترام. هذه صيغة تشير إلى الأستاذة والأستاذ بإضافة بسيطة (/ة). ولكن إذا واصلنا الكتابة، قد نواجه حاجة لاستخدام أفعال أو ضمائر فلا يعود الحياد الجندري ممكنا. مثلا: كل الطالبات والطلاب يحترمن/يحترمون معلماتهن/معلميهم. صيغة كهذه تفتقر إلى السلاسة.

بناء على ما سبق، يمكن القول إن مهمة الكتابة بالعربية بطريقة محايدة جندريا تحتاج إلى جهد أكبر من ذاك اللازم بالإنجليزية. ولكن رغم خصائص العربية التي تذكر وتؤنث أكثر من اللغات الأخرى (على الأقل مقارنة بالإنجليزية التي أعرفها) سيظل من الممكن البحث عن صيغ بديلة تحقق الحياد الجندري، وسلاسة الكتابة والقراءة، والالتزام بقواعد اللغة.

وقد حرصت على كتابة الكلمة هذه بحياد جندري، ولكن لا أظن أن الحياد وقواعد اللغة قد تطابقا في كل جملة، وهذا يظهر حجم التحدي، ولا بد من التماس العذر، والتفكير معا بتحقيق التوافق في كل الحالات.

حقوق المرأة في الغرب والشرق

قواسم مشتركة وأوجه اختلاف

لم يكن بوسع المرأة في الدول الغربية ذات يوم أن تصوت في الانتخابات. وكانت هناك حملة من النساء أدت في النهاية إلى الحصول على هذا الحق. وفي سياق العمل، كان أجر المرأة أقل من أجر الرجل رغم القيام بعمل واحد أو متشابه. وإذا لجأت المرأة إلى القضاء لكي ينصفها في حال الفصل بسبب الحمل، كان القضاة يحكمون لصالح رب العمل على أساس مقارنة وضع المرأة الحامل برجل مريض في العمل يتم الاستغناء عنه لأسباب صحية.

تغيرت قوانين العمل وغيرها مع مرور الزمن، وأصبح التمييز ضد المرأة ممنوعا، ورفعت قضايا كثيرة من أجل حصول النساء على أجور متساوية للرجال في كل الأعمال المتشابهة. وظلت أطر المساواة تتوسع لتشمل منع التمييز على أي أساس آخر كالعرق أو المعتقد.

ولكن سن القوانين لا يؤدي إلى تغيير سريع في الواقع، ويحتاج التغيير إلى مزيج من الجهود تشمل الحملات التوعوية والإعلامية وغير ذلك من مبادرات وإجراءات. في المجال السياسي تحديدا، تأخر وصول المرأة إلى المراكز العليا لصنع القرار في الدول الغربية، ولا تزال دول غربية عديدة لم تنتخب امرأة لمنصب الرئيس أو رئيس الوزراء.

أما في ميادين العمل، فلا يزال وجود المرأة في المراكز العليا محدودا نتيجة وجود ما يسمى «السقف الزجاجي»، وهو تعبير مجازي عن عدم تجاوز النساء مستوى معين. وينطبق هذا التعبير أيضا على الرجال من خلفيات عرقية مختلفة عن الأغلبية.

بمقارنة أعلاه مع الوضع في الشرق، وتحديدا العالم الإسلامي، نجد أن المرأة تولت منصب رئيس وزراء في تركيا وبنغلاديش وباكستان. ولكن هذه الحالات لا تعكس حالة تطور عام في أوضاع المرأة في الدول الإسلامية، فهي حالات استثنائية مقتصرة على رأس الهرم، وليس تتويجا لتغيير بدأ في القاعدة.

هناك تياران في النظر إلى حقوق المرأة المسلمة، أحدهما يرى أن المساواة النظرية موجودة. أما التيار الثاني، فله تفسيراته التي تحد من حقوق المرأة، ويجعلها عرضة لقيود شديدة تختلف شدتها من بلد إلى آخر.

إضافة إلى ذلك، توجد عادات اجتماعية تضع قيودا حيث لا ينبغي أن تكون، كالحرمان من الميراث. وتتحول المرأة إلى ضحية بالمعنى الحقيقي للكلمة كالقتل بذريعة الحفاظ على الشرف، أو ضحية تعاني بدرجات مختلفة على أكثر من صعيد.

على سبيل المثال، لا يزال هناك تمييز في المعاملة بين الذكر والأنثى داخل الأسرة. ومن أسوأ مظاهر ذلك، الحرمان من التعليم، الذي تلاشى تقريبا لأن التعليم أصبح إلزاميا لعدد محدد من السنين (ست سنوات على الأرجح). ولكن حرمان النساء من إكمال التعليم لا يزال مستمرا: إما بعد الزواج، أو بالمنع من السفر للحصول على درجة علمية عليا.

وفيما يخص عمل النساء، هناك موقفان متناقضان، أحدهما يسارع إلى منعها من العمل بعد الزواج، والآخر هو تجيير راتب المرأة العاملة لصالح مصروف البيت أو الأب أو الزوج.

وبالنسبة لقرار الحمل من عدمه، تجد المرأة نفسها بين موقفين متناقضين، فالأعراف الاجتماعية السائدة تريدها أن تنجب الـعـدد الذي تطلبه الأعراف، وحسب توقيت ليس للمرأة قرار فيه.

ومع أن استغناء أرباب العمل عن خدمات المرأة الحامل أصبح غير قانوني، إلا أن بعضهم يضع المرأة في بيئة تضطرها إلى عدم الحمل لتكوين أسرة، لأنها إن حملت ستفقد عملها رغم أن رب العمل سيبرر ذلك بذريعة مختلفة. (ورد في الأخبار قبل فترة [2014/2] أن شركة طيران تستغني عن المضيفات اللاتي يقررن الحمل).

من المعروف طبعا أن توفيق المرأة بين عملها والمسؤوليات العائلية مسألة صعبة كثيرا، وتضطر النساء في الغرب إلى الاستقالة من العمل والتفرغ للأسرة. ولكن لم يعد هذا الخيار الوحيد المتاح أمام النساء، فهناك خيارات العمل بدوام جزئي، أو العمل من البيت بعد ظهور الإنترنت، أو ترك العمل لفترة محددة، من سنة إلى خمس مثلا، ثم تعود المرأة بعدها إلى العمل دون فقدان أي حقوق مكتسبة.

وتم التخلي أيضا عن فكرة أن الأب لا يحتاج إلى ترك العمل لأسباب عائلية، ولذا هذه الخيارات مفتوحة للرجال أيضا. وصار للرجل حق في الحصول على إجازة أبوة مثلما تحصل المرأة على إجازة أمومة، فهناك اعتراف بأهمية إقامة الرابطة بين الوليد/ة والأب بعد الولادة مباشرة. ولكن الفترة الزمنية لإجازة الأبوة أقصر.

وفي حالتي الاغتراب المؤقت أو الهجرة والحصول على جنسية بلد آخر، ورغم تزايد القيود على الهجرة إلى الدول الغربية، تبقي القوانين المجال مفتوحا لجمع شمل العائلات، بحيث يتمكن المغترب أو المهاجر من إحضار زوجته وأبنائه وبناته ليعيشوا معا تحت سقف واحد.

للعمل فوائد عدة لا تقتصر على الحصول على راتب في نهاية الشهر. وله أيضا سلبيات لا تميز بين الرجال والنساء، ولكن الجوانب السلبية تحتاج إلى كلمة خاصة بها. فكرة إعطاء الأولوية في العمل للرجل فقط ليست واقعية، لأن الكثير من العائلات تعيلها نساء عاملات عازبات. والزواج لا يغني المرأة عن العمل، لأنه لا أحد يعرف متى يموت، ولا يضمن عدم التعرض إلى حادث، أو تدهور الحالة الصحية إلى حد لا يمكن الرجل من العمل. ولذا من الحكمة أن تظل المرأة المتزوجة تعمل، حتى لا ينتهي بها الأمر أرملة تعيش هي وعائلتها على الإحسان.

لقد عوملت المرأة في الغرب بأساليب ظالمة في الماضي، ولكن الأمور تغيرت وتظل في حال تطور دائما، فما تحقق في الستينيات لا يصبح كافيا لواقع الثمانينيات، وهكذا. ولذا لا توجد نقطة ثابتة يتم الوصول إليها والوقوف عندها بقية الدهر.

حقوق المرأة في الدول الإسلامية بحاجة إلى نقاش يبتعد عن العصبية. ورغم أهمية الحوار الاجتماعي الهادئ حول هذه القضية وغيرها، إلا أن التغيير لا يحتاج إلى قرارات عليا أو قوانين، فالتغيير ممكن وفعال عندما يبدأ الإنسان بنفسه، وشيئا فشيئا تتسع دائرة التغيير المنطلق من قناعة ذاتية.

الـعـدد 93: 2014/3

تصنيف الكتب على أساس الجنس

هل لتصنيف كتب وألعاب الصغار على أساس الجنس أثر سلبي؟ ثمة من يعتقد ذلك.

كثيرا ما تكون هدية الصبي بندقية أو مسدسا، أو زيا عسكريا. أما هدية الصبية فلعبة (عروسة) مثل باربي، أو أدوات تجميل أو مطبخ، أو زي ممرضة. ودرجت العادة في الغرب على ربط اللون الزهري (البمبي) بالبنت، واللون الأزرق بالصبي. وعلى هذا الأساس أيضا تميز الكتب التي تستهدف الصغيرات والصغار.

ويعتقد بعض الأهالي أن هذا التصنيف يحد من توسيع الصغار دائرة الخيارات التي يفضلونها، ولذا نظموا حملة لجمع التواقيع لمطالبة دور النشر بالكف عن هذا التصنيف. ويتساءلون: «كيف يمكن أن تكون قصة لبنت فقط؟» وهم يرون أن اهتمامات الصغار، إناثا وذكورا، أكثر تنوعا مما يختار لهم الناشرون[1].

ويشرح منظمو الحملة أهمية وقف هذا التصنيف بأن الصغار «يأخذون على محمل الجد الرسائل التي يتلقونها من الكتب والألعاب والتسويق والراشدين». ولذلك، هناك خشية من أن يعتبر الصغار أن هذا الأمر أو ذلك ليس لهم/لهن بسبب الجنس، فالبنت قد يعجبها أن تكون لعبتها روبوت

(إنسان آلي)، وقد يرغب صبي في رسم ورود. ولذا فإن هذه «الحدود المصطنعة تبعد الصغار عن تفضيلاتهم الحقيقية»[2].

وجاء في صحيفة ذا غارديان (The Guardian) البريطانية[3] أن هذه الحملة حصلت على تأييد بعض الكاتبات والكتاب المشهورين، من بينهم مالوري بلاكمان المختصة بأدب الأطفال، والشاعرة كارول آن دافي، وفيليب بولمان، مؤلف ثلاث روايات فيها خيال ومغامرات في سياق بلوغ سن الرشد.

ونقلت الصحيفة عن بولمان قوله إنه يعارض التصنيف على أساس العمر أو باستخدام اللون الزهري والأزرق. وطالب الناشرين بعدم تحديد الجمهور المستهدف على غلاف الكتاب لأن هذا يشبه غلق الأبواب في وجه بعض الصغار من فئات غير مذكورة على الغلاف. وأشارت صحيفة ذا غارديان إلى أن دور نشر عدة تدعم هذه المبادرة، وأن بعضها تعهدت بالكف عن هذا التصنيف في المستقبل، من بينها دار ازبورن (Usborne) المختصة بأدب الأطفال.

وحظيت الحملة بتأييد «ووترستونز» (Waterstones)، وهي سلسلة دور بيع كتب شهيرة في بريطانيا. ونقلت الصحيفة عن ناطق باسم «ووترستونز» قوله إن عرض الكتب على أساس تصنيف الجنس مرفوض، وإن هناك طرقا أفضل لعرضها. ووفقا لما نشرته «ذا غارديان» فإن صحيفة اندبندنت ان صنداي (Independent on Sunday) تعهدت بعدم مراجعة أي كتاب يستهدف جنسا محددا.

في رأيي أن غاية هذه الحملة وجيهة، وتذكرني بمقولة سيمون دي بوفوار الشهيرة «المرأة لا تولد امرأة، بل تصبح كذلك»[4]. ليس المقصود طبعا المعنى الحرفي، فهناك اختلاف عضوي بين الذكر والأنثى. ولكن التربية التي تبدأ من يوم الميلاد تقيم هوة كبيرة بين الجنسين، وتؤسس للتمييز ضد الأنثى، الذي يأخذ أشكالا مختلفة منها الحرمان من التعليم، أو توجيه الإناث إلى دراسة تخصصات معينة أكثر من غيرها، والتمييز في العمل وفي الحياة عموما.

تصنيف الكتب على أساس أنها للبنات أو الأولاد ممارسة مستخدمة في العالم العربي، فبحثي في غوغل أوصلني إلى غلف من بينها غلاف يقول «قصص بوليسية للأولاد»، والافتراض هنا أن هذا النوع من القصص ليس للبنات. وثمة غلاف آخر يقول «قصص مسلية للبنات المجتهدات». هذ التصنيف يبدو لي طاردا للبنات أيضا وليس للأولاد فقط. لست أدري إن كان يشجع البنات على القراءة لنيل صفة مجتهدة، أم ينفر حتى البنت المجتهدة لأنها لا تحسن الحكم على مدى اجتهادها.

(هـوامـش)

الـعـدد 94: 2014/4

الفقر والعدالة الاجتماعية

«الفقر ليس عيبا» قول شائع وصحيح، فلا أحد يختار أن يكون فقيرا. ولا أظن أن هناك فقيرا لا يسعى إلى تحسين أوضاعه ليصبح قادرا على تغيير المسكن، أو تعليم الأبناء والبنات، أو توفير العناية الصحية اللازمة وفي وقتها لأفراد العائلة، أو كل ذلك وأكثر. وقد ينجح فقير ما في تغيير أحواله فيصبح لديه الكثير من المال والممتلكات، وينتقل إلى طبقة الأثرياء.

يناقش ديفيد دونيسون مسألة الفقر وسبل معالجتها في كتاب عنوانه «سياسة الفقر» (The Politics of Poverty)، ويخلص إلى تعريف الفقر بأنه «مستوى معيشة منخفض جدا إلى حد يستبعد الناس من المجتمع الذي يعيشون فيه». وللخروج من الفقر، يوصي دونيسون بأن يكون للناس «دخل يمكنهم من المشاركة في حياة المجتمع»[1].

يمكن القول إن التعريف فضفاض إلى حد ما، ولكن أهميته تكمن في ربط دونيسون بين الفقر والإقصاء، فالفقير مضطر لتركيز جهوده واهتمامه على تأمين الحاجات الأساسية لنفسه وعائلته، ولا يبقى لديه وقت أو اهتمام بالشؤون المختلفة في المجتمع.

ويضاف إلى ذلك أن الفقراء لا يعود مرغوبا في وجودهم في أحياء أو وظائف أو جامعات معينة، فيكون الإقصاء متعمدا.

مكافحة الفقر، وما يترتب عليه من تهميش وتدهور في الأوضاع الاجتماعية التي يمكن أن ينتج عنها زيادة في معدلات الجريمة، المنظم منها والفردي، كانت دائما محل جدل بين أنصار العدالة الاجتماعية وأنصار حرية الأسواق.

أنصار العدالة الاجتماعية فكروا بإجراءات مثل توزيع الثروة من خلال الضريبة المتدرجة، التي تزيد نسبتها حسب زيادة الدخل. أما أنصار وجهة النظر الأخرى التي تعتبر أن الفرد مسؤول عن فقره وغناه، فحجتهم كانت ولا تزال أن خلق الثروة أفضل من توزيعها.

وركز أنصار العدالة الاجتماعية على دور الدولة في تقديم الخدمات الأساسية في مجالات الصحة والتعليم والسكن، بينما كان أنصار الحجة الأخرى يرون أن الدولة عقبة في الطريق. وكان يقارن دائما بين أداء المؤسسات الخاصة وتلك التي تملكها الدولة، وكانت المقارنة تبدو في صالح المؤسسات الخاصة دائما، من ناحية عدد الموظفين وسرعة الإنجاز على سبيل المثال.

طغت فكرة خلق الثروة في الثمانينيات والتسعينيات، وزحفت عقلية خصخصة المؤسسات العامة، فتخلت الدولة عن ملكيتها لمؤسسات القطاع العام من ماء وكهرباء ومواصلات وخلافه. وأصبحت الدول، النامي منها خاصة، تسعى إلى جذب الاستثمارات الأجنبية، مع الترويج في هذا السياق لرخص الأيدي العاملة فيها.

وفي سياق إفساح المجال أمام القطاع الخاص ليمارس أعماله كما يرى مناسبا، تراجعت حقوق العمال والموظفين، وألغي الاعتراف بالنقابات التي تمثلهم في الكثير من الشركات، ولم تعد هذه تهتم بمراعاة الظروف الشخصية والعائلية التي تجعل المرء يحتاج لأن يعمل وفق ترتيبات فيها بعض المرونة.

والأدلة كثيرة هذه الأيام، لمن يرغب في البحث عنها، بخصوص فتح المجال واسعا أمام استغلال الأيدي العاملة، وإرغامها على العمل في ظروف لا

تحترم الحقوق الأساسية التي ينبغي للعاملات والعاملين التمتع بها، من قبيل العمل ساعات محددة يوميا وأسبوعيا، والحصول على عطلة أسبوعية وإجازة سنوية، والعمل مقابل أجور عادلة.

ومن نتائج خصخصة المؤسسات العامة الاستغناء عن أعداد كبيرة من العاملات والعاملين. والتقدم التقني يسهم كثيرا منذ سنوات في الاستغناء عن البشر، وخاصة في المصانع وخطوط الإنتاج. وعندما يضاف إلى ذلك أن الدول العربية فيها نسبة مواليد عالية، ونصف المجتمع أو أكثر يصنف ضمن فئة الشباب، لا غرابة أن البطالة في الدول النامية وبينها العربية أعلى بكثير من الدول المتقدمة الثرية، والهوة بين الفقراء والأغنياء زادت اتساعا.

كان ولا يزال هناك تمجيد في الإعلام الغربي لمن يوصف بـ «انترابرينور» (entrepreneur)، أي الشخص الذي لديه حس المبادرة والقدرة على تأسيس وإدارة مشاريع يجني منها الأرباح. وحاليا، يتم التركيز على الترويج لفكرة الشركات الناشئة (ستارت اب::startup) في مجال تطبيقات الحاسوب والهواتف الذكية كمفتاح للدخول إلى عالم النجاح والتحول إلى شركة ناجحة تبيع بالمليارات مثل أبل وزميلاتها.

ومع أن وسائل الإعلام تسلط الضوء على قصص النجاح في هذا المجال، ويتم تصوير هذه المسارات كطرق سحرية إلى النجاح، إلا أن جدواها محدودة. بعض الأشخاص سوف يحالفهم الحظ، وتنجح مبادراتهم، ولكن الأغلبية لن تنجح لأن الميدان المرغوب يكون مزدحما ومشبعا. وقد يخسر كثيرون ما استثمروه، فينضمون إلى صفوف العاطلين عن العمل، بل إلى الغارقين في الديون.

الاعتقاد بأن الدرب إلى عيش أفضل يتم عن طريق واحد أو اثنين ليس جديدا، ففي الولايات المتحدة حيث عانى الأميركيون الأفارقة من التمييز والفصل العنصري، أصبح الكثير منهم يركز على الرياضة أو الغناء كمفتاح للخروج من أسر الفقر والانتقال إلى عالم الثروة.

وبينت شخصيات أميركية-أفريقية، في حينه، مثل جيسي جاكسون، خطأ هذا الأسلوب، وأكدوا على أهمية دخول كل المجالات كالمحاماة والطب والتعليم وخلافه، فعالما الرياضة والغناء لن يستوعبا كل الأميركيين الأفارقة الساعين إلى الخروج من أوضاعهم الاجتماعية الصعبة.

ولا يمكن لعجلة الحياة أن تدور في أي مجتمع بدون السائق والخباز والمزارع والسبّاك وصاحب الدكان الصغير وعامل النظافة وغير ذلك من عاملات وعاملين في مجالات عديدة. هؤلاء أيضا يسعون إلى مستوى معيشي معقول، ويستحقون ذلك طبعا.

لا اعتراض لي على مبدأ خلق الثروة، أو على الحق في التمتع بها لمن ينجح في جنيها بجهوده ودون أن ينطوي جمع الثروة على استغلال المنصب أو جهود الآخرين أو الاحتكار أو التضييق على المنافسة.

ولكن في رأيي أن مفهوم خلق الثروة بالشكل الذي مورس ويمارس حتى الآن، أي ترك الأمور الاقتصادية للأسواق والقطاع الخاص، غير قادر على حل المشكلات الاجتماعية التي بدأت تزيد في الدول الغربية وتفاقمت في الدول العربية. لا يعقل ألا تكون هناك صلة بين التدهور في الأوضاع الاقتصادية والمعيشية لأعداد كبيرة من الناس وبين الظواهر السلبية التي شهدتها وتشهدها الدول العربية.

هناك تقارير تتحدث عن أن الثروة بدأت تتركز في أيدي قليلة في مختلف أنحاء العالم، وبالتالي خلق الثروة ليس جهدا تقوم به الدولة فينتفع منها عدد كبير من الناس، بل ثروة تخلق بجهود أفراد أثرياء لتزيد ثروتهم، وينتفع منها عدد محدود من الناس. ويمكن الرجوع إلى تقرير صادر عن منظمة أوكسفام في عام 2014، وهو يشير إلى أن نصف ثروة العالم تقريبا يملكها ما يعادل نسبة واحد في المئة (1%) من سكان العالم[2].

ومن مظاهر ما جرى أن أصحاب المال صاروا أصحاب قرار في المجال السياسي، إما من خلال تحالف مع الطبقة الحاكمة، أو تولي الحكم باستخدام المال، ضمن ظاهرة تعرف الآن بالمال السياسي.

وأعود إلى دونيسون الذي يولي أهمية لعيش الناس في مستوى يضمن لهم أن يعاملهم «المسؤولون الرسميون والأطباء والأساتذة وأصحاب البيوت المستأجرة وغيرهم بالاحترام الذي يعامل به أفراد المجتمع الآخرون»[3]. ويذكر مجموعة من المقاييس أو المؤشرات التي يعنى تحققها الخروج من دائرة الفقر، وهي تشمل ما يلي:

أن يحصل الإنسان على الغذاء اللازم؛ وأن يكون الملبس معقولا ويمكّن من الحفاظ على احترام الذات والذهاب إلى المقابلات المتعلقة بالعمل بثقة؛ وأن يكون المنزل دافئا؛ وأن تكون ملابس الأبناء والبنات على درجة حسنة من الجودة؛ وأن تكون العائلات قادرة على زيارة الأقارب، وتقديم هدايا لهم في أعياد ميلادهم والأعياد؛ وقراءة الصحف؛ وامتلاك جهاز تلفزيون، والاحتفاظ بالعضوية في النقابات والكنائس[4].

وبالنظر إلى أن كتاب دونيسون صدر قبل انتشار الحاسوب والإنترنت، من المنطقي والواقعي أن يضاف إلى هذه المؤشرات جهاز حاسوب وخدمة إنترنت لتعدد استخداماتهما التي تشمل تقديم طلبات عمل، والقيام بمعاملات رسمية، ودفع الفواتير، والتعلم عن بعد، والحصول على المعلومات.

في عام 2010، ضرب هاييتي زلزال أسفر عن مقتل عدد كبير من الناس لا يقل عن مئة ألف حسب أقل التقديرات، وأسفر أيضا عن تدمير أعداد كبيرة من المباني وتشريد ثلاثة ملايين إنسان. وردا على سؤال عن الدروس المستخلصة من التعامل مع كارثة هاييتي، يقول بول فارمر، وهو طبيب وبروفسور في جامعة هارفرد الأميركية إن «أحد الدروس هو أن عليك إعادة بناء القطاع العام

وجعله أقوى. الموارد يجب أن توجه إلى القطاع العام، وليس فقط إلى المنظمات غير الحكومية»[5].

الخلاصة إذن هي أن هناك حاجة ماسة لإعادة النظر في المفاهيم التي طغت خلال العقود الثلاثة الماضية، أو نحو ذلك، وبدء رد الاعتبار لأفكار جربت وكانت مجدية في وقتها، ولكن تم الاستغناء عنها لأن البدائل التي طرحت، كالخصخصة، وجذب الاستثمارات الأجنبية، ستكون أنجع، وقادرة على تحقيق نتائج أفضل، ولكننا نعرف الآن أن الأمر ليس كذلك.

وسيكون على درجة عالية من الحكمة وبعد النظر من يعيد ترتيب الأولويات بحيث تكون للعدالة الاجتماعية الأولوية الأولى، فتحقيقها سيؤدي إلى حل المشكلات التي تزعزع استقرار المجتمعات.

(هـوامـش)

الـعـدد 104: 2015/2

العقلية التجارية والمناسبات الدينية

لم تعد العقلية التجارية توفر فرصة لجني الأموال منها، وإذا لم تتوفر المناسبة تخترع مناسبات، ينجح بعضها كعيد الأم. وقد زحفت العقلية التجارية إلى المناسبات الدينية، فعيد ميلاد المسيح، عليه السلام، أصبح موسم التسوق الأهم في الدول الغربية، وتبدأ حمى التسوق قبل شهر تقريبا من اليوم الخامس والعشرين من الشهر الأخير في السنة الميلادية، وتتسارع وتيرته حتى مساء الليلة التي تسبق يوم الميلاد نفسه.

يصدر هذا العـدد (97) [2014/7] مع بدء شهر رمضان المبارك، الذي تغلغلت فيه منذ عقدين أو نحو ذلك العقلية التجارية التي تسعى إلى جني المال من خلال التشجيع على الاستهلاك، بأشكاله المختلفة، وأولها الإكثار من الطعام والشراب. والأسوأ من ذلك استهلاك التسلية والترفيه من خلال المسلسلات التي تزدحم بها القنوات التلفزيونية، ويكثر الحديث عنها قبل أسابيع من بدء شهر الصوم، إن لم يكن قبل ذلك بكثير.

من المفارقات أن منتجي المسلسلات التلفزيونية اختاروا شهر عبادة وروحانيات ليكون الموسم التجاري الأفضل لمسلسلاتهم. وصارت دورة إنتاج المسلسلات التلفزيونية مرتبطة برمضان، فبعد انتهائه بفترة ليست طويلة يجري التحضير للموسم التالي لتكون المسلسلات جاهزة للعرض في رمضان.

وأحيانا يتأخر العمل على بعض المسلسلات، فتعرض حلقات بينما يجري العمل على تجهيز أخرى أثناء رمضان.

من المستغرب من وجهة نظري حشد هذا الـعـدد من المسلسلات خلال فترة شهر واحد، فالإنسان المهتم بمتابعة التلفزيون لا يمكنه مشاهدة عدد كبير من المسلسلات التي تعرض في فترة واحدة ومواعيد متقاربة إن لم تكن متضاربة.

وثمة مؤشرات على عدم وجود اهتمام بجودة المسلسلات التي تنتج، لأن بعض المسلسلات يمكن أن تباع كرزمة، أي أن هناك استغلالا للموسم لتمرير بعض البضاعة الرديئة. واللجوء إلى هذه الممارسات يعطي فكرة عن أحد أسباب بطء تطور المسلسلات التلفزيونية والأفلام.

مقابل هذه الظاهرة السلبية التي تحوّل الصائمات والصائمين إلى مستهلكي كمية كبيرة من الطعام، ومهدري ساعات عديدة من الجلوس مقابل شاشة التلفزيون، هناك كثيرون لا يزالون متمسكين بالواجبات الدينية والممارسات الروحانية.

ومن المظاهر الإيجابية المرتبطة برمضان ما سمي موائد الرحمن، حيث يمكن لمن يرغب أن يتناول الإفطار فيها. ولو عممت هذه التجربة لتصبح جزءا من جهود دائمة لتحقيق العدالة الاجتماعية للقضاء على الفقر لكان لها تأثير أكبر، وخاصة إذا لم يقتصر الأمر على توفير الطعام والشراب، بل شمل أشكالا عديدة من التكافل الاجتماعي.

ولأن العقلية التجارية تشجع على الاستهلاك طيلة أيام السنة، هناك مبادرات تشجع الناس على مقاومة الإدمان على الاستهلاك. من هذه المبادرات عدم شراء شيء في أحد أيام السنة، أو صنع الخبز في البيت بدل الذهاب إلى المحال التجارية الكبرى (أو المخابز) لشرائه. وبشكل عام، من المؤكد صحيا

الآن أن الأكل الذي يعد في البيت أفضل بكثير لصحتك من الأكل الجاهز، والخضروات والفاكهة أكثر فائدة من اللحوم والحلويات.

شهر رمضان فرصة للتخلص من عادات سلبية كثيرة كالتدخين والإفراط في شرب القهوة والشاي، فمن يتمكن من السيطرة على إرادته ساعات عديدة كل يوم طيلة شهر، يكون قريبا جدا من السيطرة عليها دائما، وبالتالي على عاداته السلبية، بدل أن تسيطر عليه. فليكن شهر رمضان هذه السنة فرصتك للعودة إلى الممارسات والعادات الإيجابية.

العـدد 97: 2014/7

شؤون سياسية وفكرية

كيف تقاوم مشروعا استعماريا؟
غزة نموذجا

للمستشرق الفرنسي، مكسيم رودنسون، كتاب عنوانه «إسرائيل والعرب»[1]، يستعرض فيه جذور الصراع العربي الإسرائيلي، واختيار فلسطين لتكون وطنا قوميا لليهود.

يشير رودنسون في كتابه إلى أن معاداة اليهود في أوروبا (معاداة السامية) أدت إلى نشوء ردود فعل في أوساطهم شملت نشوء حركة قومية سياسية، الصهيونية. وقد ألف ثيودور هرتزل، الذي يعتبر مؤسس الحركة الصهيونية، كتابا عنوانه «دولة يهودية»[2] في عام 1896 (ص 12).

أرادت الحركة القومية الناشئة أن تجد وطنا لليهود. وكانت هناك عدة احتمالات من بينها الأرجنتين. ولكن الخيار الذي أصبح مفضلا هو فلسطين، وأمكن حشد الرأي حوله نتيجة عوامل منها حماس اليهود المتدينين، والنصوص التوراتية (ص 12).

ويشير رودنسون إلى أن فلسطين كانت في فترة نشوء الحركة القومية اليهودية مقاطعة عربية تابعة للإمبراطورية العثمانية. ولكنه يقول إن هذا في حد ذاته لم يكن عقبة كأداء في وجه تحقيق الغاية. ويعزو السبب إلى إنه في ذلك الوقت، أي في مطلع القرن العشرين (1900)، «لم تكن للمشاريع الاستعمارية الهالة غير المواتية التي تحيط بها اليوم» (ص 12).

ويشرح رودنسون أن الشعوب التي اعتبرت متخلفة في ذلك الوقت كان تواجه بما يعتبر «التقدم والحضارة، حتى لو كانت كلفة ذلك التشريد، أو الإخضاع إلى حد ما» (ص 12). وليس من دواعي الدهشة، كما يشرح رودنسون، أن المشروع الصهيوني، «الذي نشأت جذوره في أوروبا، لم يظهر اهتماما يذكر بمصير سكان المنطقة التي كانت ذات يوم أرض الميعاد» (ص 12).

ويضيف رودنسون أنه حسبما كان معتادا في تلك الأيام، فإن «الاستراتيجية الوحيدة التي تم التفكير فيها هي عقد تحالف مع قوة [دولة كبرى] أو مجموعة من القوى مقابل خدمات قد يكون المستوطنون المستقبليون في موقع يمكنهم من تقديمها» (ص 12).

ويذكر رودنسون أن «رواد الصهيونية السياسية» كانوا يستخدمون «دون كوابح» مصطلحي «الاستعمار» و«المستعمرة». ويقتطف من كتاب هيرتزل قوله عن فلسطين: «يجب أن نشكل هناك جزءا من سور واق لأوروبا مقابل آسيا، وموقعا متقدما للحضارة مقابل الهمجية» (ص ص 12-13).

الحقائق التي يسردها رودنسون، الملخصة أعلاه، لا تزال تحكم الموقف الإسرائيلي المدعوم من الدول الغربية عموما. ولذا يجب ألا ينسى أحد أن ما جرى لفلسطين وشعبها ويجري فيها مشروع استيطاني لم يتوقف منذ أن بدأ وحتى اليوم. يتغير الخطاب الصهيوني قليلا تبعا لمتطلبات كل مرحلة زمنية، ولكن المشروع لا يزال استيطانيا.

مشاريع الاستيطان الأوروبية شملت القارتين الأميركيتين وأستراليا وأفريقيا. في الولايات المتحدة الأميركية وأستراليا، تعرض السكان الأصليون إلى الإبادة، وهم الآن أقليات. ولا يقدم أو يؤخر شيئا ظهور مبادرات في السنوات الأخيرة تهدف إلى الاعتراف بالظلم التاريخي الذي وقع عليهم، فالواقع الآن مطابق لغايات المشاريع الاستيطانية.

وإذا لم ينجح المشروع الاستيطاني في تحويل السكان الأصليين إلى أقلية عبر الإبادة، يفرض المستوطنون حكم أقلية وافدة على السكان الأصليين. زيمبابوي التي سميت روديسيا حكمتها أقلية بيضاء إلى أن نجحت حركات المقاومة في هزيمة المشروع في أواخر السبعينيات.

وحكم الأقلية البيضاء والتفرقة العنصرية استمر في جنوب أفريقيا حتى أوائل التسعينيات. وساهم في إنهائه حملة مقاطعة عالمية، ولكن يجب ألا يُنسى أن نيلسون مانديلا لم يكتف بالمقاومة السلمية. والمشروع الفرنسي الاستيطاني في الجزائر دام أكثر من مئة وثلاثين سنة، وقدم الجزائريون مليون شهيد أو أكثر قبل التمكن من هزيمته.

إلى أي مدى نجح المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين؟ لا شك في أنه نجح إلى حد كبير، وهذا ليس مستغربا لعدم تكافؤ ميزان القوى بين طرفي المشروع الاستيطاني: الطرف الفلسطيني، الضحية المستهدفة، والطرف المعتدي ممثلا بالحركة الصهيونية والدول المؤيدة لها.

ولكن لا شك أيضا في أن مقاومة الشعب الفلسطيني، بمختلف أشكالها، لم تمكّن المشروع الصهيوني الاستيطاني من النجاح إلى الحد المرغوب، ولا بالسرعة المرغوبة. ولذلك، الواقع يشير إلى أن مقاومة الشعب الفلسطيني منذ بداية المشروع الاستيطاني لم تكن بدون جدوى. والعكس صحيح، فعندما تم التخلي عن المقاومة نتيجة اتفاق أوسلو عام 1993، لم يعد أمام مواصلة التمدد الاستيطاني موانع تفشله أو تجبره على التراجع أو الانحسار، بل توسع بسرعة، وبدأت المدن والبلدات الفلسطينية تتحول إلى مناطق معزولة (غيتوهات).

ولو قدر لهذا المشروع الاستيطاني تحقيق النجاح الكامل بعد عشر سنوات أو عشرين سنة، فكل ما عانت منه الشعوب الأصلية من فقر وتهميش وعزلة وتدهور المستويات التعليمية والصحية وغير ذلك سيكون ايضا من نصيب الشعب الفلسطيني. وبعد أن تكتمل سيطرة المشروع الاستيطاني على

فلسطين والفلسطينيين، لن يكون مستبعدا تصور ظهور مبادرات في إسرائيل على غرار بعض المبادرات في أستراليا أو الولايات المتحدة التي صارت تعتبر ما كان يسمى «هنديا أحمر» أميركيا أصليا.

ولكن «صحوة الضمير» المتأخرة، إن حدثت، لن تقدم أو تؤخر في واقع من يتبقى من الشعب الفلسطيني على أرضه، مثلما لم تغير شيئا في واقع المواطنين الأصليين في أماكن أخرى. وسيكون الاهتمام بهم كعنصر من عناصر الجذب السياحي لإسرائيل، كأن يتم تشجيع الفلسطينيين على تشكيل فرق دبكة لتقديم العروض في الحفلات التي تقام للأفواج السياحية، وتشجيعهم على ممارسة الحرف التي تنتج قطعا تذكارية تباع للسائحين. هذا هو المصير الذي ينتظر الفلسطينيين في حال تخليهم عن المقاومة بأشكالها المختلفة.

لحسن حظ الشعب الفلسطيني، وشعوب العالم الثالث عامة، أن هناك جزءا لا يقبل الاستسلام للواقع، ويقاوم بما يتوفر من إمكانيات، وبعد مرور فترة من الزمن، تقصر أو تطول، يتحقق الانتصار للطرف الذي يكون الأضعف في البداية.

في عام 1967، هزم الجيش الإسرائيلي ثلاثة جيوش عربية خلال أقل من أسبوع، واحتل المزيد من الأراضي العربية. ولكن كان هناك من رفض الاستسلام للواقع المحبط، فظهرت بعد الهزيمة بفترة قصيرة المقاومة الفلسطينية بإمكانيات ضعيفة. وخلال أقل من عام تعرض الجيش الإسرائيلي إلى هزيمة على أرض الكرامة في غور الأردن الشرقي، وانتشر بعدها التأييد للمقاومة الفلسطينية كانتشار النار في الهشيم.

يمكن لمن يريد أن يسفه الآراء التي تتحدث عن جدوى مقاومة عدو قوي، ولكن من يريد أن يرى الأمور بواقعية لا يمكنه عدم الاعتراف بأن إسرائيل تواجه صعوبة متزايدة في حسم معاركها العسكرية، فبعدما كانت تنتصر على مجموعة جيوش في وقت واحد على أكثر من جبهة، لم تعد قادرة على حسم

معركة مع حركة مقاومة تعمل في بيئة غير مواتية في لبنان أو فلسطين. وهي تعمد إلى إنزال خسائر كبيرة في صفوف المدنيين، وهذا متوافق مع عقلية أصحاب المشاريع الاستيطانية. ولكن يزداد وضوحا الآن أن منطق استخدام القوة وصل بعد تكراره مرات عديدة إلى طريق مسدود، وجدواه كأسلوب لحمل الجماهير على الانفضاض عن المقاومة يدحضه الواقع عند شن كل عدوان رغم الخسائر البشرية الكبيرة والدمار الواسع.

وبالنسبة لقطاع غزة، يسجل له تصديه لثلاثة اعتداءات كبرى خلال خمس سنوات، وأنه خال من المستوطنات. ورغم أنه محاصر برا وبحرا جوا، وصغر مساحته الجغرافية، تمكنت قوى المقاومة المتمركزة فيه من تطوير قدراتها، ففي عام 2009/2008، كان إنجازها مقتصرا على الصمود وامتصاص العدوان. وفي عام 2012، تطورت القدرات إلى حد الرد بصواريخ متوسطة المدى. أما في عام 2014، فقد تمكنت من استخدام عدد كبير من الصواريخ وتوجيهها إلى أي مكان في فلسطين.

وأعود إلى ما نقلته عن رودنسون لأضيف أن المقتطفات أعلاه تفسر أيضا الدعم الإعلامي والسياسي لإسرائيل ومشروعها الاستيطاني، فالمشاريع الاستيطانية اعتمدت على تزييف الحقائق، وكان من ضمن تبريراتها الوعود الإلهية وتخلف السكان الأصليين، أو أن الإنسان الأوروبي يحمل رسالة لتحضير «المتخلفين» في المناطق الأخرى من العالم. ولذا لا عجب أن يعتبر الساسة والإعلام في الغرب إسرائيل تدافع عن نفسها، بينما الحقيقة هي أن الشعب الفلسطيني هو المعتدى عليه ويدافع عن نفسه منذ أن استهدفه المشروع الاستعماري الاستيطاني.

ومع أن رودنسون يقول إن النظرة إلى المشاريع الاستعمارية لم تعد كما كانت في الماضي، إلا أن هذا القول يفتقر إلى الدقة، خاصة إذا نظرنا إلى تدخل

الدول الغربية مجتمعة أو منفردة في دول كأفغانستان والعراق ومالي، ونشوء تيار في الولايات المتحدة، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، يدعو إلى هيمنة أميركية لقرن آخر[3]. وكما ذكرت أعلاه، يتغير الخطاب السياسي والإعلامي حسب متطلبات المرحلة، ولكن الجوهر لم يتغير جذريا بعد.

= = =

[1] Rodinson, M. 1968. *Israel and the Arabs*. trans. by Michael Perl and Brian Pearce. 2nd ed. New York: Penguin Books.

[2] Hertzel, T. 1896. *A Jewish State*, London.

[3] The Project for the New American Century. 2000. *Rebuilding America's Defenses: Strategy, Forces and Resources For a New Century*. Washington, DC.

الـعـدد 98: 2014/8

التياران الإسلامي والعلماني وهزيمة 1967

ثمة رأي منتشر في أوساط الأكاديميين المهتمين بالعالم العربي مفاده أن التيار العلماني في الدول العربية هزم في هزيمة الأنظمة العربية في حرب حزيران (يونيو) 1967، وأن صعود التيار الإسلامي بدأ بعدها وبسببها.

على سبيل المثال، جون اسبوزيتو (1999، ص 655)، وهو من المدافعين عن الإسلام في الوسط الأكاديمي، يقول: إنه تم خوض حرب 1967 «باسم القومية العربية والاشتراكية. والهزيمة المنكرة نزعت مصداقية القومية العربية (...) وكانت حافزا أوليا للصعود الإسلامي».

وفي الآونة الأخيرة، عبر عن رأي في هذا الاتجاه أسعد أبو خليل، الأستاذ في جامعة ولاية كاليفورنيا، ستانيسلاوس. وكان ذلك في مقالته الأسبوعية في صحيفة الأخبار اللبنانية (2014/1/25)، فقال: «وصحيح أيضاً أن خسارة 1967، التي لا تعوّض، دفعت بالكثيرين إلى وضع الآمال الكبار في «حل إسلامي» غير محدّد المعالم»[1].

هذا الرأي المعبر عنه بكلمات مختلفة وجوهر واحد صحيح جزئيا في أفضل الحالات، وقد ينطبق على الوضع في مصر أكثر من بقية الدول العربية، لأن الدليل التاريخي يناقضه، فما جرى بعد هزيمة 1967 كان انتعاشة للأفكار العلمانية ممثلة بصعود ظاهرة المقاومة الفلسطينية.

لكن قبل التوسع في نقدي لهذا الرأي الذي يتكرر رغم مجانبته الصواب، أود أن أشير إلى أن وصف التيارات الأخرى غير الإسلامية بأنها علمانية ليس دقيقا، فالدول العربية (باستثناء لبنان) تحدد في دستورها دين الدولة، حتى في دول حكمتها أحزاب غير إسلامية كحزب البعث في سورية والعراق.

ومصطلح العلمانية مختلف أساسا على صوابه لغويا قبل رفضه مفاهيميا، وجرت محاولات لتمييزه بالقول إنه يلفظ عَلمانية بفتح العين وليس كسرها (أي ليس نسبة إلى العِلم). وأذكر مقالة لا يمكنني الآن توثيقها للكاتب إياد إبراهيم القطان شرح فيها المفهوم واقترح استخدام مصطلح «العالمانية»، فهذا في نظره يعكس مقصد المفهوم. ويبدو أن مصطلح «الدنيوية» قد بدأ يستخدم كبديل للمصطلح المختلف عليه لغة ومفهوما. والنقطة الأخرى التي تستوجب التوضيح هي أن مفهوم العلمانية يفهمه البعض معاداة للدين، ويعتبره بعض الإسلاميين كفرا.

أما المقصود بالعلمانية في هذه المقالة فهو مبدأ الفصل بين الدين والدولة، وينطوي ذلك على احترام حقوق وحريات الاعتقاد والعبادة. وقد بينت أحداث السنوات الثلاث الأخيرة في الدول العربية أن مبدأ فصل الدين عن الدولة، بالمعنى المذكور هنا، يحميهما من الاستغلال، والمزج بينهما يؤدي إلى إفساد الاثنين.

ولكن غاية هذه المقالة ليست مناقشة مفهوم العلمانية وترجيح كفة فهم على آخر، بل مناقشة الرأي الذي يقول إن هزيمة 1967 هي بداية انحسار التيار غير الإسلامي (العلماني)، وصعود التيارات الإسلامية.

ربما أثرت هزيمة 1967 على التيار العلماني في مصر ممثلا بالناصرية، بالنظر إلى صراع جمال عبد الناصر مع الإسلاميين، فمن المعروف أن الهزيمة جعلت عبد الناصر محل شماتة كثير من الإسلاميين في مصر وخارجها، بدلا من الغضب نتيجة احتلال أراض من بينها القدس، التي تمثل قيمة دينية كبرى للإسلاميين.

بعد هزيمة 1967 كان معروفا عن المنتمين للتيارات الإسلامية استخفافهم بحركات المقاومة الفلسطينية، ورفضهم الانضمام إليها، أو تأسيس منظمات خاصة بهم، لأنهم لم يعتبروا المقاومة جهادا، وفضلوا أيضا الدعوة على الجهاد. ولذا، لم تكن لهم شعبية يعتد بها مقارنة بفصائل المقاومة الفلسطينية، كحركة فتح أو الجبهة الشعبية. ومنظمات المقاومة العديدة لم يكن بينها منظمة إسلامية التوجه والمرجعية. ومع أنه صحيح أن بعض الإسلاميين شاركوا في المقاومة الفلسطينية، إلا إن ذلك كان من خلال حركة فتح، وليس كتيار إسلامي مستقل، وتوقفت هذه المشاركة عام 1970.

وبعد ظهور حركة المقاومة الفلسطينية بعد هزيمة 1967، طُرحت وانتشرت فكرة الدولة الفلسطينية الديمقراطية كهدف للمقاومة. ولزيادة انتشار هذا الهدف بين الجماهير تم التعبير عنه في أغنية يقول أحد مقاطعها:

وهدفنا دولة فلسطينية
وفلسطين دولة ديمقراطية
لا إرهابية ولا عنصرية

تجدر الإشارة هنا إلى أنه لم يسخر أحد في ذلك الحين من ذكر الديمقراطية في شعار يحدد هدف المقاومة، في حين أن السخرية من ذكرها كهدف لمحاولات التغيير شائع هذه الأيام من بعض اليساريين ومؤيدي القضية الفلسطينية. وقد ظلت المقاومة الفلسطينية محافظة على هذه السمة من «العلمانية»، رغم تغير الأهداف والشعارات على مر السنين.

إذن كيف يمكن تفسير تغير الوضع وظهور منظمات إسلامية قادرة على منافسة سابقاتها «العلمانية»؟

العامل الرئيسي هو نجاح ثورة إسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني عام 1979. هذا النجاح أظهر للإسلاميين في العالم العربي أن الفعل أهم من

التنظير وانتظار نضج الظروف، وإعطاء الأولوية للدعوة، إلى آخر ذرائع الإسلاميين في الماضي.

وراجع الإسلاميون في فلسطين أنفسهم، فأدركوا أنهم يجب أن يمارسوا المقاومة كما مارستها من قبلهم المنظمات غير الإسلامية. وهكذا نشأت حركتا الجهاد الإسلامي وحركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وكان هذا في الثمانينيات.

وبناء على ما سبق، لا يمكن أن يكون صحيحا أن تراجع التيار العلماني بدأ مع هزيمة 1967، أو بسببها. فلماذا انحسر التيار «العلماني» إذن؟

الانحسار ناتج عن سوء إدارة القضايا التي ناضلت من أجلها التيارات غير الإسلامية، وعلى رأسها قضية فلسطين، وتسلل الترهل والفساد والتخلي عن المبادئ والأهداف. ولذا عندما ظهرت المنظمات الإسلامية كانت تبدو «أنظف» من تلك المنضوية تحت مظلة منظمة التحرير الفلسطينية. وحصل تبادل للأدوار، وتغيير للمواقع، فأصبح الإسلاميون يؤمنون بالفعل والكفاح المسلح، وأصبح مناضلو الماضي مهتمين بالمفاوضات السرية والعلنية.

هناك المزيد من العوامل، ومنها عودة الإسلاميين الذي قاتلوا في أفغانستان إلى بلادهم، واللجوء إلى تأسيس منظمات تعطي الأولوية للعنف في إحداث التغيير. ولكني سأكتفي بالتركيز على ما بدأت به، وهو العلاقة بين انحسار التيار «العلماني» وحرب 1967.

طبعا لا أعتبر الإسلاميين كتلة واحدة متجانسة، فمثلما كان بين التيارات غير الإسلامية تنوع رغم أن الهدف المعلن واحد (تحرير فلسطين)، هناك اختلاف بين المنظمات الإسلامية، وداخلها أيضا. وقد وصل الوضع في سورية إلى حد الاقتتال بين الجماعات الإسلامية.

الخلاصة إذن هي أن هزيمة 1967 لم تكن سببا في انحسار التيار العلماني، وتحديدا في منطقة بلاد الشام، بل انتعش التيار غير الإسلامي وبلغ أوجه ممثلا

بحركة المقاومة الفلسطينية التي تمتعت بتأييد كبير عربيا وعالميا. ومن المكن جدا أن تنحسر التيارات الإسلامية مثلما انحسرت غير الإسلامية. وأحداث السنوات الثلاث الماضية في الدول العربية قد تكون بداية الانحسار، فالصورة المثالية لما هو مقاوم أو إسلامي وخلافه تتأثر بالممارسات على أرض الواقع.

= = =

أبو خليل، أسعد. 25 كانون الثاني (يناير) 2014. «نوبة الدين». الأخبار. على الرابط التالي:

http://www.al-akhbar.com/node/199355

Esposito, J. (1999). «Contemporary Islam: Revolution or Reformation?» In Esposito J., ed., *The Oxford History of Islam*. New York: Oxford University Press.

ظاهرة اليساريين سابقا

انتقال الإنسان من موقع إلى آخر، وتغيير موقفه وأفكاره ليس سيئا بالضرورة، بل على العكس يمثل حالة إيجابية إذا كانت نتيجة تطور فكر، وتأمل، ومراجعة ذاتية ونقدية.

لكن الانتقال المثير للشك والكثير من الانتقاد هو الانتقال الذي لا يبدو تطورا فكريا طبيعيا، من قبيل انتقال اليساريين إلى مواقع يمينية، مع الاستمرار في كثير من الأحيان في استخدام لغة يسارية في انتقاد من لم يغادر يساريته.

أما سبب الاهتمام باليساري أكثر من غيره فيرجع إلى أن اليساري يفترض أن يكون من المؤمنين بقضايا مهمة من قبيل العدالة الاجتماعية والتقدم وعدم التعصب قوميا أو دينيا، ولذا انتقاله إلى اليمين يلفت النظر.

في الدول الاشتراكية سابقا كان الانتقال من اليسار إلى اليمين انتقالا جماعيا. وفي الدول التي لا يوجد فيها نظام يساري ينتقل الأفراد اليساريون إلى اليمين لسبب ما، قد يكون مركزا سياسيا حكوميا، أو وظيفة مرموقة، أو مزايا مغرية.

هناك مقالات كثيرة تهجو اليساريين السابقين. من ينتقل من اليسار إلى اليمين نتيجة حوافز مادية يستحق الهجاء الذي يتعرض له. في المقابل، هل المتمسكون باليسارية ملائكة؟ الجواب في رأيي هو لا، ليسوا ملائكة، ولهم عيوبهم كبقية بني البشر.

أسوأ ما يلمس في بعض اليساريين اعتقادهم أن اليسارية تعطيهم مقدرة فكرية إضافية، وأنها تمنحهم مكانة خاصة. في بريطانيا، يوصف بعض اليساريين بأنهم اشتراكيو الشمبانيا نظرا لتمتعهم بالعيش الرغيد، رغم مناداتهم بالعدالة الاجتماعية.

الأسوأ من ظاهرة اليساري السابق ظاهرة اليساري الذي لا يغادر يساريته، بمعنى أنه لا يكف عن تحليل الأحداث السياسة والاقتصادية تحليلا ماركسيا مثلا، ولكنه في الوقت نفسه يكون متعصبا قوميا أو دينيا، أو مستعدا للترحيب بتدخل عسكري أجنبي في بلده أو غيره.

لا يختلف أمر هذا النمط من اليساريين عن ظاهرة المثقفين الذي كانوا (ولا يزالون) يعيشون في أحضان السلطات الحاكمة، ولذا في رأيي أن وصفا من قبيل مثقف ويساري ويميني وأممي وقومي وليبرالي وإسلامي وخلافه لا يكفي لمنح مكانة خاصة لأحد، فلا اليساريون سواسية، ولا المثقفون سواسية، وهذا ينطبق أيضا على أي مجموعة من البشر ضمن أي تصنيف آخر.

هناك دائما حاجة للتأكد من المصداقية الفكرية والشخصية، ومن وجود ترابط بين الفكر والتنظير والممارسة.

الـعـدد 85: 2013/7

عن القانون واستقلال القضاء

يقال إن الحرب هي السياسة بوسائل أخرى. والمنطق نفسه ينطبق على القانون، فيقال أيضا القانون هو السياسة بوسائل أخرى. في الوقت نفسه، هناك الكثير من الكلام عن إعلاء شأن سلطة القانون، ومبدأ المساواة أمام القانون.

عندما يعاين المرء واقعه، بصرف النظر عن الدولة التي يعيش فيها، سيجد علاقة وثيقة بين السياسة والقانون. ولكي أظل قريبا من النشر والصحافة، سيكون مثالي عن القوانين المتعلقة بهما. القاسم المشترك بينها في الدول العربية تقييد الحريات، وعقوبات تختلف في شدتها. ولا يخفى على أحد أن القوانين هذه توضع لخدمة النظم التي تحكم بالاعتماد على تقييد الحريات لا على توفيرها وحمايتها واحترامها.

إذن العلاقة بين القانون والسياسة وثيقة. والامتداد الطبيعي لهذه الحقيقة هو أن القضاء ليس معزولا عن السياسة. هناك دائما كلام كثير عن القضاء واستقلاله. والتأكيد على ذلك يصدر عن السياسيين والقضاة. بل يهرب السياسيون من حرج بعض القضايا العامة كالفساد، أو الإهمال الجنائي الذي يتسبب بحوادث قطارات وغرق سفن مثلا، فيجري تحويلها إلى القضاء ليمكن التذرع بأن القضية لدى القضاء وبالتالي لا يمكن التعليق عليها.

وأحيانـا ينقذ القضاة السياسيين من الحرج من خلال أحكام براءة أو إدانة لا تتوفر فيها عناصر المحاكمة العادلة التي تحقق التوازن بين حقوق المتهمين والضحايا.

هـناك مثالان من باكستان، الأول يـدل على وضـع القضاة أنفسهم في خـدمة السياسة، والآخـر عـن دفاع القضاة عـن حقهم في الاستقلال عـن السياسة والإصرار عـلى تطبيق الدستور الذي يمـنع الجمـع بـين الرئاسة ومـنصب في الجيش.

في عام 1977 قام قائد الجيش الباكستاني الجنرال ضياء الحق بانقلاب على رئيس الوزراء المنتخب، ذو الفقار علي بوتو، علما بأن الثاني عين الأول في المنصب. وبعد الانقلاب حوكم رئيس الوزراء المعزول في المحكمة العليا بتهمة التآمر لقتل معارض له، هو أحمد رضا كاسوري. وكان المطلوب من القضاة حكما جماعيا بالإعدام. ولكن أحد القضاة رفض أن يوافق على حكم الإعدام، وحافظ على استقلاله، ودفع ثمن ذلك لاحقا مما اضطره إلى اللجوء إلى بريطانيا (القاضي غلام صفدر شاه).

وفي عام 1999 قام الجنرال برويز مشرف بانقلاب على رئيس الوزراء نواز شريف. في البداية تعرض الجنرال مشرف لانتقادات غربية. ولكن سرعان ما تم التغاضي عن الانقلاب بعد تعاون الجنرال في «الحرب على الإرهاب».

استمرأ الجنرال مشرف البقاء في الحكم، وأراد أن يجمع بين الرئاسة ومنصبه في الجيش. ولكي يتمكن من ذلك، قام في عام 2007 بتعليق الدستور «للحيلولة دون تمزق باكستان»، وعلق المحاكم بما في ذلك المحكمة العليا، التي كان يرأسها افتخار محمد شودري، إذ كان من المتوقع أن تصدر المحكمة العليا حكما يحول دون جمع مشرف بين منصبه في الجيش والرئاسة. لكن القضاة انتصروا على مشرف في نهاية الأمر، واضطر إلى تقديم استقالته عام 2008، وغادر باكستان ليعيش في بريطانيا.

دارت الدوائر في باكستان أكثر من مرة منذ انقلاب ضياء الحق. ابنة بوتو، بي نظير (أي بلا نظير)، عادت وأصبحت رئيسة للوزراء. ونواز شريف عاد من منفاه وأصبح رئيسا للوزراء مرة ثالثة. وهناك دعوات الآن لمحاكمة مشرف بتهمة الخيانة العظمى على انقلابه على نواز شريف.

مبدأ استقلال القضاء مهم للغاية. ولكن هذا الاستقلال لا يتم بمجرد تكرار التأكيد عليه مرارا، بل من خلال توفر البيئة التي تمكن القاضي من ممارسة عمله دون خوف من السلطة السياسية، أو طمعا في مكاسب منها.

واستقلال القضاء لا يمكن أن يتم بمعزل عن تمتع الشعب بحرياته الأساسية، فالقاضي مسؤول عن تطبيق القانون أو تفسيره. وعندما تكون القوانين قمعية، فالقاضي ليس أكثر من أداة لفرض القمع باسم القانون، الأمر الذي يجعل الحديث عن سلطة القانون مختلفا عن المقصود بها كمبدأ لا غنى للبشرية عنه أو المجتمعات الديمقراطية.

حتى عندما يكون القضاء مستقلا، لا يعني ذلك أن السلطة القضائية لا يمكن توجيه انتقادات إليها، أو أن كل أحكام القضاء عادلة ونزيهة ولا أخطاء قانونية فيها، وإلا لما كان من أساسيات القضاء استئناف الأحكام. ومـن المعروف أيضا أن بعض الأحكام القاطعة يتم التراجع عنها بعد سنوات، أحيانا بعد فوات الأوان، أي بعد تنفيذ حكم الإعدام، أو بعد أن يفني المحكوم عليه شبابه في السجون. حـدث هـذا في حالات شهيرة في بـريطانيا، تحولت إحـداها إلى مـوضوع فيلم سينمائي عـرض عـام 1993 وعنوانه «باسم الأب» (*).

وأعود إلى ما بدأت به للتذكير بأن القانون والقضاء ليسا منفصلين عن السياسة، وعندما يتمتع كل الشعب بحرياته الأساسية، وتكون له حقوق غير قابلة للتصرف، عندئذ يمكن أن يصبح الحديث عن استقلال القضاء مقنعا أكثر.

(*) In the Name of the Father

الـعـدد 86: 2013/8

عن سمات الجنرالات

من المعروف عن الجنرالات أن بعضهم يصاب بالخيلاء، فإذا كان مسؤولا عن معركة ولا تسير سيرا حسنا، قد يكابر ويصر على الاستمرار بها واللجوء إلى التصعيد أو توسيع نطاق المعركة.

من أشهر الجنرالات الذين تنطبق عليهم هذه الأوصاف الجنرال الأميركي، دوغلاس مكارثر، الذي قاد المعركة الجارية في كوريا في الخمسينيات، وغامر من خلال طلب موافقة الرئيس الأميركي هاري ترومان على الوصول بقواته إلى نهر يالو على الحدود بين الصين وكوريا.

استجاب الرئيس ترومان لطلب الجنرال مكارثر. وعندما بلغت قواته نهر يالو، تدخلت الصين، وانقلب ميزان المعركة. سعى الجنرال مكارثر إلى التصعيد بطلب قصف قواعد الصين في منشوريا، ولكن الرئيس ترومان رفض طلبه، وأعفى مكارثر من منصبه في عام 1951. وها هي كوريا لا تزال مقسمة إلى بلدين حتى اليوم.

هذه الحرب وغيرها، قبلها وبعدها، تؤكد أحد المبادئ المعروفة وهو أن القرارات في شؤون الحرب لا تترك للجنرالات وحدهم.

عندما يقرر أحد الجنرالات السيطرة على الحكم لا يعود مهما الثمن الذي يدفعه الشعب لكي تنجح المحاولة. ومن أشهر الجنرالات التي تنطبق عليهم هذه

المواصفات الجنرال التشيلي، اوغستو بنوشيه، الذي أطاح في عام 1973 بالرئيس المنتخب ديمقراطيا، سلفادور ايندي، الذي قاوم الانقلاب، وقتل في القصر. وكان ايندي يساريا وذا برنامج اشتراكي شمل تأميم قطاع تعدين النحاس.

تميز حكم الجنرال بنوشيه بالانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان، التي شملت حالات قتل وتعذيب واختفاء. وبعد رحيل بنوشيه عن الحكم، جاء إلى بريطانيا عام 1998، واغتنم بعض نشطاء حقوق الإنسان بندا في القانون الإسباني يجيز اعتقال المتهمين بانتهاك حقوق الإنسان، وطالبوا باعتقاله.

أحرجت الحكومة البريطانية ووضعته في ما يشبه الإقامة الجبرية، وظل فيها حوالي سنة ونصف سنة. وفي هذه الأثناء، صدر في البداية حكم يؤيد تسليمه لإسبانيا، ثم تعرض الحكم للنقض. وتظاهر بنوشيه بعدم الأهلية لحضور محاكمة بسبب الشيخوخة. وخرج من بريطانيا على كرسي متحرك، ولكن على الطرف الآخر كان يمشي.

بعض الجنرالات الذين يسيطرون على الحكم يزعمون في البداية أن السيطرة ستكون مؤقتة، وسيتم تنظيم انتخابات خلال شهور، ولكن يبقى الجنرال في الحكم أطول مدة ممكنه له. الجنرال الباكستاني ضياء الحق استولى على الحكم عام 1977، وظل الحاكم إلى أن قتل في حادثة سقوط طائرة عسكرية كان على متنها عام 1988. والجنرال الباكستاني برويز مشرف استولى على الحكم في عام 1999 ولم يترك الحكم إلا مضطرا بعد أن أمضى فيه حوالي عشر سنوات. وبنوشيه ظل في الحكم سبع عشرة سنة.

الدول الغربية تحب التعامل مع الجنرالات في الدول النامية، رغم كل ما توجه لهم ولأنظمتهم من انتقادات، خصوصا في المرحلة الأولى. بعد ذلك، تستمر الانتقادات بشكل متقطع، أو تتولى المنظمات غير الحكومية توجيهها. ولكن هذه لعبة يفهمها الطرفان، فتستمر العلاقة الوثيقة والودية.

يلجأ الجنرالات من أجل تدعيم حكمهم إلى استخدام إجراءات شديدة داخليا، وإلى الحصول على دعم الدول الغربية ورضاها لكي يتمكنوا من الاستمرار، ولذا تجد الجنرالات متعاونين جدا مع الدول الغربية، وخاصة في المجالين العسكري والاستخباري، ولاحقا التعاون في ما صار يعرف بالحرب على الإرهاب.

الجنرال الذي يسيطر على الحكم يصور نفسه بأنه منقذ للبلاد من التمزق أو العنف أو الوضع الاقتصادي المتدهور. وبعد استقرار الأوضاع تحت سيطرته يبدأ الفساد في الانتشار، وينشأ أو يتعمق التحالف مع بعض رجال الأعمال، وتتكون طبقة تزداد ثراء على حساب الأغلبية الساحقة من الشعب التي تزداد فقرا.

في الدول التي ترسخت لديها التقاليد الديمقراطية، لا يتمتع الجيش أو جنرالاته بوضع خاص يجيز التدخل في إدارة شؤون البلاد السياسية أو الاقتصادية. يتحدث الجنرالات في شؤون السياسة بالحدود الممنوحة لهم من السلطة التنفيذية، وإذا تجاوز جنرال ذلك، يفقد منصبه. وقد حدث ذلك في عام 2010، عندما انتقد قائد القوات الأميركية في أفغانستان، الجنرال ستانلي مكريستل، بعض المسؤولين في إدارة الرئيس أوباما، فاستدعي إلى واشنطن وأقيل من منصبه.

في يوم من الأيام في ماض غير بعيد، كان من الحكم التي تتردد كثيرا حتى في العالم العربي: «أختلف معك في الرأي، ولكن أموت من اجل أن تعبر عن رأيك». هذا الموقف النبيل تغير مع مرور الأيام وصارت بدائله:

(1) إذا اختلفت معك بالرأي سوف أسعى إلى تحطيمك، وإن لم أستطع، فسوف أستنجد بقوى خارجية وأرحب بالغزو العسكري.

(2) إذا لم يكن التدخل الخارجي ضروريا، فسوف أدمرك، فإن لم أستطع

فسوف أتحالف مع الجنرالات، وأدعوهم إلى التدخل في الشأن السياسي، وأبرر لهم ذلك.

الأوطان ملك لكل أبنائها وبناتها، الفقراء والأغنياء، والمتعلمين والمتعلمات والأميين والأميات. ومصلحة الوطن لا تحددها فئة واحدة من فئاته، سواء أكانت فئة المثقفين أم الفنانين أم الإعلاميين أم اليساريين أم الإسلاميين أو أصحاب الملايين أو أي فئة أخرى، بما في ذلك الجنرالات.

الـعـدد 87: 2013/9

ثلاث سنوات على محاولات التغيير في العالم العربي

في مثل هذا الوقت قبل ثلاث سنوات (2011/2010)، كان العالم العربي يعيش حالة جماهيرية نادرة، تمثلت في الخروج إلى الشوارع والميادين للمطالبة برحيل حاكم، أو بإصلاحات جذرية في أساليب الحكم.

النجاح الذي تحقق في تونس ومصر، ممثلا بإزاحة زين العابدين بن علي وحسني مبارك، جعل التفاؤل يصل حد النشوة، فكثر الحديث عن «الثورة»، وأصبحت موضوعا مفضلا لكتابة الكثير من الغث والقليل من السمين.

كان إطلاق صفة «ثورة» على ما جرى نابعا من استسهال إصدار الأحكام على التطورات السياسية والاجتماعية، فلا تزال هناك حاجة إلى عشرين سنة على الأقل لنتمكن من الحكم على ما إذا كانت قد حدثت ثورة حقا، أم هبة جماهيرية أحرزت نتائج لم تعمر طويلا، وسرعان ما أحدثت شروخا عميقة في المجتمع.

ولأن صفة «ثورة» محببة منذ ذلك الحين، صارت تطلق حتى على التحركات الهادفة إلى العودة إلى الماضي، وعلى الأعمال التي تهدف إلى إبطال النجاحات المؤقتة التي أحرزتها تحركات الجماهير العربية.

ولو تعمدت التسرع في إصدار الأحكام لقلت إن ما حدث ليس ثورة. ولكني لست متسرعا، ولذا أعتبر ما جرى ويجري من حالات مد وجزر جزءا

من مساعي التغيير في العالم العربي التي لم تستقر على حال بعد. والأمل طبعا أن تنتصر المساعي الهادفة إلى تغيير جذري يمكن وصفه بثقة بعد عشرين سنة بأنه ثورة نقلت العالم العربي من الاستبداد إلى الحرية، ومن التخلف إلى مواكبة العصر، ومن التبعية إلى الاستقلال السياسي والاقتصادي.

ولكي يكتسب تغيير ما صفة الثورة لا بد من مشاركة جماهيرية، وهذا تحقق في 2011/2010، فعندئذ خرجت الجماهير بعد أن صبرت طويلا. ولكن الحشد الجماهيري لا يعني ثورة. ولذا يجب أن يحصل تغيير جذري في أساليب إدارة الحكم ومؤسساته وآلياته، وهذا لم يحدث بعد إلا بشكل سطحي في أحسن الحالات.

المشكلة في العالم العربي قبل التحركات الجماهيرية وبعدها أن المستقبل الذي يراه الممسكون بالسلطة والساعون إلى التغيير ليس قائما على عقلية تعيش في القرن الحادي والعشرين، فهناك حكام يعتقدون أن الخيار الوحيد هو صيغة الحكم المطلق المعتمد على فرد أو عائلة أو قبيلة أو طبقة ناتجة عن تحالف بين عسكريين ورجال أعمال.

وهناك ساعون إلى التغيير وفق صيغة لا تريد أن تعتبر العالم العربي جزءا لا يتجزأ من البشرية والتراث الإنساني، ويفضلون الصيغ الخاصة والاستثنائية التي لم تعد تصلح للوقت الحاضر أو المستقبل.

لقد أثرى العرب والمسلمون التراث الإنساني كغيرهم من الأمم، ولا عيب في مرحلة ما أن تستفيد فئة من غيرها. بالتالي لا يحتاج العالم العربي إلى أشكال استثنائية من الحكم، فالقيم الإنسانية النبيلة تعود بالفائدة على كل البشر، وليس على فئة دون أخرى.

والجانب الآخر من المشكلة أن بعض من لا يمانعون تغييرا وفق صيغ تقدمية يسخرون من الديمقراطية كخيار مناسب، وبالتالي يعتبرون الوضع

القائم في بعض الدول أفضل من البدائل التي يريدها بعض الساعين إلى التغيير، وتحديدا من استخدموا العنف.

من نتائج السخرية من الديمقراطية تشويش مفهوم ما هو تقدمي، فيصبح التقدمي هو عكس الإسلامي حتى لو كان «التقدمي» استبداديا. وطبعا ليس من التقدمية في شيء أن يتمتع جزء من الشعب في بلد ما بالحرية والامتيازات، ويحرم جزء آخر من ذلك.

والتعامل مع الديمقراطية كمسرحية دمى يوقفها الممسكون بالخيوط في أي وقت يؤدي إلى كفر الشعب بها كفكرة وممارسة، وبالتالي الاستسلام للواقع الاستبدادي، أو محاولة تغييره بالقوة، أو إفساد القيم، فتتفشى ظواهر من قبيل النصب والاحتيال والجريمة المنظمة، وهذا بموازاة احتكار الحكم والكثير من المشاريع التي تدر دخلا كبيرا.

بعد مرور ثلاث سنوات على محاولات التغيير، وأربع عشرة سنة من القرن الحادي والعشرين، لا يزال الكثيرون من مختلف الميول الفكرية في العالم العربي ينظرون إلى الأمور وكأن العالم لا يزال في منتصف القرن العشرين. ولا يزال الخطاب الإعلامي في مختلف وسائله يلجأ إلى تمجيد من يحب والتحريض على من يملك رأيا آخر.

البداية الصحيحة للتغيير في العالم العربي هي العيش في القرن الحادي وعشرين بعقليته، والقبول بالمعايير الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان والحريات والحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية. وإذا ظهرت نماذج حكم تأتي بمعايير أرقى فعلى الرحب والسعة.

وأود قبل أن أختتم هذه الكلمة الإشارة إلى أن الجمعية العامة للأمم المتحدة تبنت قرارا لاعتماد العام الجديد، 2014، عاما للتضامن مع الشعب

الفلسطيني. وأشير إليه لوجود علاقة له بموضوع هذه الكلمة، مع أنه يستحق كلمة خاصة به.

لوحظ أثناء محاولات التغيير غياب الاهتمام بالقضية الفلسطينية (إلا في حالات قليلة)، أو استعداد لتليين المواقف المؤيدة للقضية الفلسطينية. الأسوأ من ذلك الحاق الأذى الفعلي بالشعب الفلسطيني، إما على أساس مزاعم أو على أساس مواقف خاطئة لأطراف فلسطينية. وبما أننا الآن في عام التضامن مع الشعب الفلسطيني، بقرار دولي لمن يحتاج إلى قرارات مما يسمى أحيانا الشرعية الدولية، فهذه فرصة للعودة إلى المواقف المبدئية تجاه فلسطين وشعبها.

الـعـدد 91: 2014/1

خمس سنوات على محاولات التغيير في العالم العربي

مناقشة لأسباب اندلاعها

يتزامن صدور هذا العـدد، 114 [2015/12]، مع مرور خمس سنوات على اندلاع انتفاضات جماهيرية في بضع دول عربية نجحت في تونس ومصر بإزاحة رجلين حكما البلدين طويلا.

صدرت بهذه المناسبة على ما يبدو دراسة عن قسم الشرق الأوسط في البنك الدولي تحاول تحديد أسباب الانتفاضات في العالم العربي. وأود أن أسلط الضوء عليها لأنها دراسة ذات صبغة أكاديمية وليست رأيا مثل الآراء الكثيرة التي تمتلئ بها الصحف والمواقع المختلفة كل يوم.

ولكن إشارتي إليها لا تعني تبنيا لتحليلها أو استنتاجاتها، بل أتعامل معها كما مع غيرها من أرضية نقدية، تقبل ما يمكن قبوله لأن الأدلة تؤيده، وترفض ما تراه غير صحيح، وتبين موطن الخلل في التحليل أو الاستنتاجات.

يعترف خبر الإعلان عن صدور الدراسة بأن الاعتماد على الإحصاءات والمؤشرات الاقتصادية وحدها يقود إلى الاستنتاج بأنه لم يكن هناك ما يدعو إلى الاحتجاج، وجاء ذلك بالصيغة التالية:

من منظور البيانات الاقتصادية وحدها، ما كان ينبغي أبدا أن تحدث ثورات الربيع العربي عام 2011. فالأرقام من العقود السابقة تعطي صورة

مشرقة: المنطقة حقَّقت تقدما مطردا نحو القضاء على الفقر المدقع، وتعزيز الرخاء المشترك، وزيادة معدلات الالتحاق بالتعليم، وخفض أعداد الجوعى ووفيات الأطفال ووفيات الأمهات. وكانت الإصلاحات تمضي قدما، ومعدل النمو الاقتصادي معتدلا[1].

ولأن الاستنتاج أعلاه أظهر الواقع أنه غير صحيح، حاولت الدراسة البحث عن أسباب أخرى لتفسير ظاهرة انتفاضات 2011. من الأسباب التي تذكرها الدراسة عدم المساواة في الإنفاق على التنمية داخل البلد الواحد، مما أسفر عن تفاوت في الدخل. كذلك، عدم المساواة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بين الجماعات العرقية في البلد الواحد.

وبالنسبة للسبب الثاني «ترى الدراسة أن التفاوت العرقي يعوق التنمية من خلال توليد الكراهية والحقد، وفرض حواجز أمام الحراك الاجتماعي، وخلق شعور بالظلم، وكذلك الصراع في حالات كثيرة»[2].

ومع أن الدراسة ذكرت أن المؤشرات الاقتصادية الحسنة وحـدها تقود إلى استنتاج خالفه الواقع، أي اندلاع الانتفاضات، إلا أنها تعـود للحديث بنفس اللغة، فـتـقـول: «توقف الإصلاح الاقـتصادي خـلال المـراحل الانـتقـالية ببلدان الربـيع العـربي، ولـذلك استمرت المعوقـات الهيكـلية الـتي كانت مـوجودة فـي السـابـق»[3].

إن ما تسميه دراسة البنك الدولي الإصلاح الاقتصادي ووصفاته وغيره من المؤسسات المالية الدولية لإزالة «المعوقات الهيكلية» من ضمن الأسباب التي أدت إلى التفاوت في التنمية داخل البلد والواحد والتفاوت الكبير في الدخل بين أفراد المجتمع، وخلق طبقة صغيرة تتكدس الثروة في أيديها، وتلاشي ما يسمى طبقة متوسطة، نتيجة تدهور أوضاعها.

وللتذكير فإن البنك الدولي، وغيره من المؤسسات المالية الدولية، طالب بخصخصة المؤسسات التي تملكها الدولة، وكان من نتائج ذلك بيع مؤسساتها

بأسعار زهيدة أحيانا، ونتج عن البيع حالات تسريح أعداد كبيرة من العمال، انضموا إلى صفوف العاطلين عن العمل، وهم كثر. كما أن وصفات البنك الدولي، وما شابهه من مؤسسات، كانت تطالب برفع الدعم عن المواد الغذائية ومواد أساسية أخرى.

تقلص دور الدولة نتيجة الإجراءات المطبقة باسم الإصلاح الاقتصادي، ورفع الدعم عن المواد الغذائية، أديا إلى اختلال في الأوضاع المعيشية للأفراد، وتفاوت تنموي كبير بين المناطق المختلفة من البلد الواحد، بل وداخل المدينة الواحدة، وخاصة العواصم التي توجد فيها أحياء لقصور الأثرياء، وبيوت صغيرة (وعشوائيات) للفقراء.

اعتمدت المؤسسات الدولية والأنظمة كثيرا على المؤشرات الاقتصادية ونسب النمو، فساد وهم لدى المسؤولين في الجهتين أن الأمور على ما يرام، ولكن المواطن الذي يكافح من أجل توفير الأساسيات من طعام وفواتير ماء وكهرباء وأجرة بيت، وما شابه ذلك، كان يعرف أن نسب النمو الاقتصادي التي يتحدث عنها المسؤولون والاقتصاديون لا تعني له شيئا لأنه لا يرى لها أثرا إيجابيا على حياته.

وعمّق وهم الأنظمة والمؤسسات الدولية حالة «استقرار» فرضه وجود أجهزة أمن تمنع التعبير عن الرأي والاحتجاج، ولم يكن حالة طبيعة ناتجة عن سعي الناس إلى تحسين أوضاعهم من خلال الفرص الكثيرة المتوفرة لذلك، وتمتعهم بالحريات الأساسية، فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان.

(هـوامـش)

القول الفصل للسلطة التي تمثل الشعب

مجلس العموم البريطاني مثالا

كانت الإمبراطورية البريطانية توصف بأنها الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس لاتساع المساحة الجغرافية التابعة لها. وحصل لها ما حصل للإمبراطوريات قبلها، وظلت تتقلص إلى أن تحولت إلى دولة كغيرها من الدول الغربية، ويشار إليها كثيرا بأنها الشريك الصغير في التحالف مع الولايات المتحدة، وهي معرضة هذه الأيام [2013] لانفصال اسكتلندا عنها.

هناك حديث في كل من بريطانيا والولايات المتحدة عن علاقة خاصة بين البلدين، وهي تعود إلى ما قبل ظهور الولايات المتحدة كدولة مستقلة، فقد أقامت بريطانيا مستعمرات لها على الشاطئ الشرقي لما أصبح لاحقا الولايات المتحدة الأميركية. وكان المستوطنون من بريطانيا والدول الأوروبية يذهبون للاستيطان هناك. وهذه العلاقة الخاصة أسفرت عن اعتماد الولايات المتحدة اللغة الانجليزية كلغة رسمية للدولة الوليدة.

ومن أسباب العلاقات الخاصة أيضا وقوف الولايات المتحدة مع بريطانيا في الحربين العالميتين الأولى والثانية. وورثت الولايات المتحدة نفوذ بريطانيا في الشرق الأوسط، وخاصة بعد العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، الذي كان أحد مرات الخلاف النادرة بين البلدين، فعندها طلب الرئيس الأميركي ايزنهاور، قائد قوات الحلفاء في أوروبا أثناء الحرب العالمية الثانية، سحب

القوات المعتدية. وتحدث في تلك الأيام عن أهمية دور الأمم المتحدة في إيجاد حل للأزمة المفتعلة في ذلك الحين.

كشريك صغير في التحالف بين البلدين، تقف بريطانيا مع الولايات المتحدة في كثير من المواقف، وخاصة في حالات النزاع، مثل الحرب الباردة قبل انهيار الاتحاد السوفييتي، وغيرها من حروب ساخنة.

وهناك أوجه اختلاف كبيرة بين نظامي الحكم في بريطانيا والولايات المتحدة، فالأولى ملكية، وليس لديها دستور مكتوب، ومن يحكم فيها فعليا رئيس/ة الوزراء. ولا يوجد موعد دوري لانتخاب رئيس الوزراء، بل هو من يقرر تحديد الموعد خلال خمس سنوات من آخر انتخابات عامة. كما أن رئيس الوزراء لا ينتخب مباشرة من الشعب، بل يتولى رئاسة الوزراء زعيم الحزب الذي يفوز بأغلبية المقاعد في مجلس العموم. وبهذه الطريقة انتقلت رئاسة الوزراء من توني بلير إلى غوردون براون دون انتخابات عامة.

أما الولايات المتحدة فنظامها جمهوري رئاسي، ولها دستور مكتوب نص على مجموعة من الحريات الأساسية، وموعد الانتخابات الرئاسية فيها معروف، فهو يتم كل أربع سنوات، وفي أول يوم ثلاثاء في شهر تشرين الثاني (نوفمبر). ولا يجوز أن يحكم رئيس أكثر من مرتين متتاليتين، ولا يوجد قيد مماثل على عدد مرات حكم رئيس/ة الوزراء في بريطانيا، فمارغريت ثاتشر (حزب المحافظين) وتوني بلير (حزب العمال) كانا رئيسي وزراء ثلاث مرات متتالية، وما منعهما من الاستمرار التنافس على زعامة الحزبين اللذين ينتميان إليهما.

والتشريع في بريطانيا يمر عبر مجلسين: الأول مجلس العموم، وأعضاؤه منتخبون، ومجلس اللوردات، وأعضاؤه معينون. والتشريع في الولايات يمر أيضا عبر مجلسين: مجلس النواب، وتجري انتخابات أعضائه كل سنتين، ومجلس الشيوخ، الذي ينتخب العضو فيه لفترة ست سنوات. في بريطانيا يجوز الجمع

بين المنصب الوزاري والعضوية في مجلس العموم، أما في الولايات المتحدة، فلا يجوز ذلك.

ورغم أن كل النظم السياسية تقول إن هناك فصلا بين السلطات الثلاث: التنفيذية والتشريعية والقضائية، إلا أن تنافر السلطات وصراعها على صلاحياتها لا يحدث كثيرا، والسلطة التنفيذية لها وسائل للضغط على التشريعية والعكس صحيح. وفي كثير من الأحيان، «تبصم» البرلمانات في الدول الديمقراطية على ما تريده الحكومة، مثلما تبصم البرلمانات في الدول غير الديمقراطية.

ولكن السياسة لا تخلو من المفاجآت رغم كل المحاولات التي تتم لجعلها منضبطة كمسرحية كتب لها السيناريو والحوار وتسلسل الأحداث.

رئيس وزراء بريطانيا، ديفيد كاميرون (حزب المحافظين)، كان متحمسا لتوجيه ضربة لسورية بعد استخدام سلاح كيماوي في النزاع الدائر في سورية، ودعا مجلس العموم لجلسة استثنائية لبحث الموضوع. ليس من المعقول أن كاميرون دعا مجلس العموم للانعقاد وهو غير متأكد من أنه سيحصل من المجلس على ما يريد.

ولكن حصلت المفاجأة، ولم يحصل كاميرون على ما يريد، فأغلبية أعضاء مجلس العموم عارضت تسرعه. وساهم في ذلك أن تركيبة مجلس العموم الحالية لا أغلبية مطلقة فيها لأي من الأحزاب الثلاثة (المحافظين والعمال والأحرار). وسارع إلى الإعلان عن احترام رغبة البرلمان، وذهب إلى حد أكثر من المتوقع عندما أعلن عدم مشاركة بريطانيا في الضربة التي كثر الحديث عنها.

لن ينتهي الجدل في بريطانيا حول هذه القضية، وستكون محل اهتمام المحللين السياسيين والأكاديميين المختصين بالعلوم السياسية. الشيء الأهم أن هذا التصرف من مجلس العموم أعاد تأكيد أهمية المجالس التشريعية، ففي

هذه الحالة كبح مجلس العموم جماح السلطة التنفيذية المتشوقة لحرب أخرى تؤدي إلى قتل المزيد من البشر بذريعة حمايتهم.

في عالمنا العربي هناك دول لا برلمان فيها، أو يحل فيها دون إبداء أسباب، أو بأمر قضائي مسيّس. وحيث يوجد برلمان يكون دوره شكليا أو محدود الصلاحيات. لو كان في الدول العربية نظم ديمقراطية فيها شعوب تنتخب حكامها وممثليها في البرلمان، وفيها مجالس تشريعية تحاسب السلطة التنفيذية، لزادت احتمالات تجنيب الدول العربية الويلات والدمار الذي شهدته منذ عقدين من الزمن على الأقل. كانت الفرصة المواتية للتغيير الداخلي السلمي الطوعي عندما هبت رياح التغيير على دول أوروبا الشرقية، وتكررت الفرصة عندما نجح الشعب التونسي في إزاحة الرئيس بجهود ذاتية سلمية. ولكن من اعتاد على الحكم بأسلوب دكتاتوري يظن أنه حالة خاصة مختلفة عن غيرها ولا يتعلم من التاريخ.

الـعـدد 88: 2013/10

التمسك بالمبادئ يثمر ولو بعد حين

جيريمي كوربن (Jeremy Corbyn) نائب في مجلس العموم البريطاني. سطع نجمه في الآونة الأخيرة [2015] بعد فوزه بزعامة حزب العمال بحوالي ثلثي أصوات أعضاء الحزب والمؤيدين المسموح لهم بالتصويت. حكايته تستحق أن تروى لأن فيها الدليل على أن التمسك بالمبادئ ليس مضيعة للوقت، أوعديم الفائدة، وتقدم مثالا آخر على أن الإعلام يفقد تأثيره عندما يتبلور تيار جماهيري يريد شيئا مختلفا عما تردده وسائل الإعلام.

كان كوربن معروفا بأنه نائب يساري. إنجازه الأكبر كان استمراره في تمثيل دائرته الانتخابية حوالي ثلاثين سنة، ظل خلالها مهمشا، فلا يتولى مناصب وزارية عندما يفوز حزب العمال في الانتخابات العامة، ولم يحد عن يساريته عندما نجح تيار في الحزب عام 1995 في تغيير شخصيته من حزب اشتراكي إلى آخر لا يختلف كثيرا عن حزب المحافظين.

تعرض حزب العمال للهزيمة في انتخابات عام 2015، لذا استقال زعيم الحزب اد ميليباند (Ed Miliband)، كما يحدث عادة في الدول الغربية عندما يخفق مسؤول في تحقيق المتوقع منه. كان ميليباند محسوبا على التيار اليساري للحزب، ولذا حاول كثيرون من داخل الحزب وخارجه تفسير الفشل بأنه راجع ليسارية ميليباند، وقالوا إن الأمل في الفوز في المستقبل يكمن في بقاء الحزب كما كان في عهد توني بلير.

عندما تشاور يساريو الحزب بشأن قضية التنافس على قيادته، رسا القرار على اختيار جيريمي كوربن. كان دخوله وغيره إلى حلبة المنافسين مشروطا بالحصول على توقيع ثلاثين نائبا من نواب حزب العمال في مجلس العموم، وقد حصل على الـعـدد المطلوب قبل لحظات من إغلاق باب الترشيح.

وسائل الإعلام وكثيرون في حزب العمال نفسه كانوا مستخفين بترشيح جيريمي كوربن، وبعض من وقّعوا على أوراق ترشيحه فعلوا ذلك لأنهم كانوا مقتنعين بأن فرص نجاحه معدومة، ولكنهم لا يمانعون أن يكون ترشيحه عاملا مساعدا على تنويع النقاشات أثناء الحملة الانتخابية.

بعد أن بدأ كوربن يتحدث إلى الجماهير المعنية بانتخابات قائد جديد للحزب، نال إعجاب الكثيرين بأسلوبه الصادق الخالي من الكلام المراوغ الغامض الذي يستخدمه الكثير من السياسيين. وأعرب صراحة عن معارضته لبرامج التقشف الحكومية. وبدأ الحزب يشهد إقبالا شديدا على التسجيل كأعضاء أو مؤيدين يحق لهم التصويت في انتخابات قيادة الحزب بغية التصويت لكوربن.

وهكذا، وخلال فترة وجيزة تحول كوربن من المرشح الشكلي، إلى منافس حقيقي على زعامة الحزب، ولذا بدأ القصف الإعلامي الشديد عليه. حتى توني بلير وغوردون براون، وهما زعيمان سابقان للحزب، حثا على عدم انتخابه.

وعندما أعلنت نتائج الانتخابات، كان الفوز من نصيب جيرمي كوربن بحوالي ستين في المئة من الأصوات، وهي نسبة أعلى من تلك التي حصل عليها توني بلير في الماضي.

لم يهنأ جيرمي كوربن بلحظة استراحة، لا داخل الحزب ولا في وسائل الإعلام، وحزب المحافظين الحاكم سارع إلى القول إن كوربن خطر على أمن بريطانيا القومي، وإحدى الصحف البريطانية زعمت أن ضابطا كبيرا قال إن الجيش مستعد للتمرد في حال أصبح جيريمي كوربن رئيسا للوزراء[1].

إذا أردت أن تبحث عن شبه بين سائل الإعلام العربية والغربية في أداء دور البوق للسلطة أو من يملكها أو يمولها ستجد الشبه بسهولة في التغطية الإعلامية لدخول جيريمي كوربن غمار المنافسة على قيادة حزب العمال.

ولكن كل هذا القصف الإعلامي العدائي الكثيف لم يفلح، لأن تيارا جماهيريا تبلور وتحول إلى تيار جارف لا يوقفه ما يقال في وسائل الإعلام، ونجح التيار في إيصال كوربن إلى قيادة الحزب.

نجاح كوربن هذا لا يعني أنه سيفوز في الانتخابات العامة القادمة التي ستجري بعد حوالي خمس سنوات، وفوزه لا يعني أيضا أنه سيبقى زعيم الحزب حتى خوض الانتخابات القادمة، فمن الممكن تحدي زعامته حسب إجراءات معينة، فتتم انتخابات جديدة، وقد حدث مثل هذا التحدي لزعامة ثاتشر، ولكن بعد أن خاضت الانتخابات العامة ثلاث مرات.

كذلك، نجاح كوربن في الانتخابات العامة بعد خمس سنوات، وتولي رئاسة الوزراء، لا يعني أن خصومه في المجتمع سوف يستسلمون، بل ستكون هناك مقاومة لكل خطوة من خطواته.

يحاول خصوم كوربن والإعلام في أغلبيته إظهار أن فوزه بلا جدوى، وأن هزيمة الحزب تحت قيادته في المستقبل ستكون أكبر من التي جرت قبل شهور. ولكن هذه الأقوال هراء، فإذا حظيت رسالة كوربن بتأييد مماثل للتأييد الذي حصل عليه داخل جمهور حزب العمال، فسوف ينجح في الانتخابات العامة كما نجح في انتخابات قائد الحزب. وهذا ممكن، وحصل في الماضي، فالشعب البريطاني انتخب زعيم حزب العمال كليمنت آتلي (Clement Attlee) وفضّله على تشيرتشل الذي قاد بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية.

لم أكتب هذه الكلمة لمناقشة السياسة البريطانية واحتمالات الفوز والخسارة لحزب أو شخص ما، بل لأن في هذه الحالة جوانب ذات صلة بالعمل السياسي والوطني في كل مكان.

أول هذه الجوانب هو ضرورة الإخلاص للمبادئ النبيلة. ظل كوربن نائبا يساريا كل الوقت. من السهل أن يختلق الإنسان لنفسه الأعذار لينتقل من صف إلى آخر، وظاهرة اليساري السابق في العالم العربي كتب عنها الكثير لأن اليساريين الذين غيروا مواقعهم كثيرون أيضا، والذين غيروا مواقعهم ليسوا اليساريين فقط، وتغيير المواقع لم يكن مقتصرا على أفراد.

وثاني هذه الجوانب عدم السير مع التيار الرائج السائد مهما كان سيئا، فالكلام الذي يتكرر كثيرا في الإعلام لا يعني أنه صحيح. وسائل الإعلام تحاول ان تقنعنا بأنها تعرف أكثر مما تعرف حقا، وكثيرا ما تستخدم تعبير «مفاجئ» أو «غير متوقع» مع أن هذا الوصف غير صحيح، فهي التي روجت لسيناريو معين، ولم يتحقق لها، إما لأنها خدعت نفسها، أو لأنها حاولت أن تساهم في تحقيقه وأخفقت.

وثالث هذه الجوانب ضرورة عدم افتراض أن كل الشعب يريد كذا، أو أن الشعب مجمع على هذا الأمر أو ذاك. حتى لو كان الأمر كذلك، يستطيع الأفراد أو الأحزاب تغيير الأفكار من خلال النقاش والحجج الأفضل وتقديم الرؤية الأوضح ورسم المسار الأفضل لتحقيق الأهداف التي تحقق مصلحة الشعب.

[1] The Sunday Times, 20 September 2015.

http://www.thesundaytimes.co.uk/sto/news/uk_news/National/article1609597.ece

الاحتكام للضمير لتبرير الحرب

الضمير ملاذ الإنسان الأخير، فقد يحول بينه وارتكاب عمل فظيع، أو يحمله على القيام بعمل حميد. والضمير يخز، ويؤنب، ويصحو أيضا. وفي هذه الحالات جميعا له دور إيجابي. ويطلق على بعض السجناء بالإنجليزية وصف سجين ضمير (prisoner of conscience)، أي سجين لأنه يريد التصرف وفق ما يمليه عليه ضميره[1]. وحتى في الدول التي فرضت أو لا تزال تفرض التجنيد الإجباري، يستثنى بعض الأفراد من الخدمة الإجبارية ويطلق عليهم لقب (conscientious objector)، أي معترض على أساس الضمير.

هذه المقدمة عن الضمير لها علاقة بقرار مجلس العموم البريطاني الموافقة في شهر كانون الأول (ديسمبر) 2015 على مشاركة سلاح الجو البريطاني في الغارات الجوية التي تشنها طائرات دول عديدة في سورية. والعلاقة بين قرار من هذا النوع والضمير تبدو غريبة، ولذا الأمر بحاجة إلى توضيح.

في عام 2010، لم تسفر الانتخابات البرلمانية في بريطانيا عن أغلبية مطلقة لأي من الحزبين الرئيسيين، وهما حزب المحافظين بزعامة ديفيد كاميرون، وحزب العمل بزعامة غوردون براون. ونتيجة لذلك، شكلت حكومة ائتلافية بين حزب المحافظين وحزب ثالث صغير، هو حزب الديمقراطيين الأحرار بزعامة نك كليغ.

في عام 2013، كان شن حرب على سورية قاب قوسين أو أدنى. ولأن الولايات المتحدة ترغب في القيام بالأعمال العسكرية بمعية دول حليفة وصديقة، فقد انتظرت من شريكتها الصغرى، بريطانيا، أن تشارك معها، ولكن كما الحال في الدول الديمقراطية ولو نسبيا، احتاج الأمر إلى موافقة من البرلمان، وفي العادة، تحصل الحكومات على ما تريد من البرلمانات.

دعا كاميرون إلى جلسة استثنائية لمجلس العموم في آب (أغسطس) 2013 ليحصل على الموافقة المطلوبة، وما كان ليفعل ذلك لو لم يكن واثقا من أنه سيحصل على مراده، ولكن مجلس العموم فاجأه ورفض منح الموافقة بفارق بسيط في الأصوات (285 ضد مقابل 272 مع) واعتبر قرار شن حرب متسرعا.

صدم كاميرون ولكنه أعلن احترامه للقرار، ولم تقع الحرب المتوقعة في تلك الفترة، لأن الولايات المتحدة لم تكن قادرة على خوضها مع شريكتها، ليس لحاجة إلى جنود وعتاد، ولكن لأن الأمر يبدو أفضل بمشاركتها، فثمة أسلوب متبع عندما ترغب دولة بشن حرب على أخرى، إذ تعمل على إنشاء تحالف تكون فيه القوة الرئيسية، وتضطر وسائل الإعلام إلى الحديث عن «ائتلاف» بدل من ذكر اسم دولة محددة.

في شهر أيار (مايو) 2015 جرت الانتخابات برلمانية، وفاز فيها حزب المحافظين بأغلبية مطلقة، وظل كاميرون يحن إلى المشاركة في الغارات التي تشنها طائرات دول عديدة في سورية، وقدم الأمر وكأنه استجابة لطلب الحلفاء والأصدقاء ان تشارك بريطانيا كتعبير عن التضامن معهم.

ولتمتع حزب المحافظين بالأغلبية، لم يكن هناك شك هذه المرة في أن مجلس العموم سوف يوافق على المطلوب منه، ولكن كاميرون كان يريد أيضا موافقة من أعضاء الأحزاب الأخرى، وخاصة منافسه التقليدي، حزب العمال، الذي انتقلت زعامته إلى اليساري جيريمي كوربن، المعارض للحروب والأسلحة

النووية. وكما تحدثت في مقالة سابقة (ص 93: التمسك بالمبادئ...)، فإن قيادة كوربن لا تزال تقاوم في الحزب وخارجه، رغم فوزه بحوالي ثلثي أصوات الذين يحق لهم التصويت.

من التقاليد المتبعة في مجلس العموم فرض الأحزاب على نوابها التصويت بنعم أو لا في كثير من الحالات لأن للحزب موقفا جازما بشأن قضية ما. وفي بعض الحالات، وهي قليلة، يسمح الحزب للأعضاء بالتصويت كما يريدون، ويسمى تصويتا حرا (Free Vote).

مؤيدو مشاركة بريطانيا في الغارات داخل حزب العمال، طالبو الزعيم الجديد، كوربن، بعدم فرض التصويت بلا ضد المشاركة، انسجاما مع موقفه المناهض للحرب. ووضع الرجل بين نارين: نار الموافقة على المشاركة، ونار التمرد عليه في الحزب.

وقال الداعون إلى تصويت حر إن هذا يمكن النواب من التصويت وفق ما تمليه ضمائرهم، وهذا أغرب ما قيل كمبرر، فهنا كان الحديث عن الضمير منافيا لاستخدامه الطبيعي، كأن يردعك عن الإقدام على فعل فظيع، أو يحملك على القيام بفعل حميد.

بعد رفض بدا جازما في البداية، وافق كوربن على التصويت الحر، ونتيجة لذلك، صوت مع حزب المحافظين الحاكم 66 نائبا من حزب العمال المعارض. وكان ذلك بذريعة الاحتكام إلى الضمير. ومن المفارقات أن سبعة من نواب حزب المحافظين صوتوا ضد قرار المشاركة، مخالفين بذلك أمر الحزب.

هذه حالة أخرى من حالات عدم الانسجام بين المبادئ المعلنة والممارسة الواقعية، فاحترام حقوق الإنسان مثلا لا يعقل أن يكون سببا لشن حرب أول نتائجها عدم احترام أول حقوق الإنسان، وهو الحق في الحياة، فيقتل الآلاف من الناس، ويصاب عدد أكبر، ويشرد الناس من بيوتهم، وتدمر الجسور والمباني العامة وحتى البيوت.

الاحتكام للضمير في حالة كهذه يقتضي فعل كل ما هو ممكن لتفادي الحروب، لا التصويت من أجل شنها أو المشاركة فيها.

= = =

[1] تعرّف منظمة العفو الدولية سجناء الضمير بأنهم الأشخاص الذين يسجنون بسبب معتقداتهم السياسية أو الدينية أو غيرها من المعتقدات النابعة من الضمير، أو بسبب الأصل العرقي أو الجنس أو اللون أو اللغة أو الأصل القومي أو الاجتماعي، أو الوضع الاقتصادي، أو المولد، أو التوجه الجنسي، أو أي وضع آخر، شريطة ألا يكون الشخص استخدم العنف أو دعا إلى استخدامه.

الـعـدد 116: 2016/2

المركزية الأوروبية بين الفرض والرفض

المركزية الأوروبية (Eurocentrism) مصطلح متداول كثيرا وخاصة في الأوساط الأكاديمية. وتتعرض دراسات كثيرة حول شؤون غير أوروبية لانتقادات على أنها تنظر إلى الأمور من منطلق المركزية الأوروبية. ومن أشهر منتقدي المركزية الأوروبية، سمير أمين (1987)، وقد عرفها بأنها:

> ظاهرة ثقافية، بمعنى أنها تفترض وجود ثوابت ثقافية مميزة تشكل المسارات التاريخية للشعوب المختلفة. ولذلك، فإن المركزية الأوروبية معادية للكونية [العالمية] لأنها غير مهتمة بالسعي إلى قوانين عامة محتملة للتطور الإنساني. ولكنها تقدم نفسها ككونية، لأنها تزعم أن تقليد جميع الشعوب النموذج الأوروبي هو الحل الوحيد لتحديات عصرنا (ص vii).

يمكن المرء أن يلمس مظاهر للمركزية الأوروبية في أمور من قبيل تشجيع الدول النامية على تطبيق ما يجري تطبيقه في الدول الغربية، فعندما تنتشر ظاهرة المنظمات غير الحكومية في الغرب، تبدأ حكومات الدول الغربية بتشجيع وجودها في الدول الأخرى. وعندما يبدأ الغرب في الحديث عن المجتمع المدني ومنظماته في دوله، يصبح هذا مطلبا في الدول الأخرى. وعندما تخصص

الشركات العامة في الدول الغربية، تصبح الدول الأخرى مطالبة ببيع الشركات العامة، وهكذا.

ونظرا لتزايد محاولات الانتقال في العالم إلى نظم ديمقراطية، توجه انتقادات لاعتبار المركزية الأوروبية مرشدا في هذا الشأن. وفي ما يتعلق بالعالم العربي، يقول العربي الصديقي (2009): «إن نماذج المركزية الأوروبية، وخاصة المتعلقة بالدمقرطة، لا يمكن تطبيقها بسهولة في التجارب الديمقراطية العربية (ص 10)، ويضيف أن «طرائق ومفاهيم المركزية الأوروبية تأبى التحويل» (ص 11).

وكثيرا ما يواجه الباحثون المهتمون بشؤون الدول غير الغربية، كالعالم العربي مثلا، بأن نظرتهم للأمور وأسس تحليلاتهم منطلقة من المركزية الأوروبية، حتى لو ذكر المرء صراحة في بحثه أو دراسته أنه واع لهذا الأمر، وليس منحازا للمركزية الأوروبية.

ضمن السعي إلى اعتماد معايير لتقييم الديمقراطية في بلد ما، حاول ديفيد بيثام (1994 ص 26) تفادي اختيار معايير يمكن اعتبارها معتمدة على المركزية الأوروبية، ولا تأخذ بعين الاعتبار «مؤسسات وإجراءات غير غربية تقدم طرقا بديلة حقيقية لتحقيق الديمقراطية».

ويأخذ التعبير عن رفض المركزية الأوروبية أشكالا أخرى من قبيل رفض فكرة المعايير الكونية/العالمية حتى في ما يتعلق بالحقوق والحريات، واعتبار ذلك نوعا من الهيمنة. من هؤلاء شانتيل موف (2008، ص 454) التي تتفق مع وصف كارل شمت للعالم بأنه ليس كونا واحدا (universe) بل أكوان متعددة (pluriverse)، وترى إشكالية في قبول كل الثقافات لفكرة حقوق الإنسان.

في ضوء ما سبق، تستحق ثلاث مسائل الوقوف عندها ومناقشتها. الأولى مسألة النماذج الديمقراطية البديلة، والثانية وحدة أو تعدد المعايير، وتفضيل وجود عالم متعدد الأقطاب. والثالثة إمكانية تفادي المركزية الأوروبية تماما.

يتم أحيانا إطلاق صفة ديمقراطي على تقليد ما على أساس غير موضوعي، ودون تعريف محدد للديمقراطية[1]. ففي أفغانستان هناك تقليد يعرف بـ«لويا جرغا»، وهو مجلس يتكون من ممثلي القبائل الأفغانية. وبعد الغزو الأميركي لأفغانستان، تم استخدام فكرة «لويا جرغا» ليبدو أن النظام الذي سيقام في أفغانستان ديمقراطي ذو صيغة محلية.

ويعتبر فيليب حتّي (1948، ص 15) أن القبيلة العربية مبنية على أساس ديمقراطي، فهو يري أن شيخ القبيلة ليس صاحب سلطة مطلقة في الشؤون القضائية والعسكرية وغيرها من قضايا تهم القبيلة، وعليه التشاور مع مجلس القبيلة المكون من رؤساء عائلاتها. ويضيف أن الفرد في القبيلة وشيخها يتعاملان معا على قدم المساواة.

ومع تزايد الانتقادات في الغرب لمظاهر مختلفة من ممارسة الديمقراطية، من قبيل العزوف عن المشاركة في الانتخابات، أو اتخاذ القرارات قبل أن يجري حولها ما يكفي من المداولات، ظهرت وتظهر مبادرات لتعالج أمر المشاركة في الانتخابات وصنع القرار وخلافه. وهناك من يرى تجارب مشجعة في بعض دول أميركا الجنوبية وأفريقيا تهدف إلى المزيد من المشاركة الشعبية. تستحق التجارب الخلاقة كل الترحيب، وأي بدائل أفضل تستحق الاستفادة منها عندما تثبت فاعليتها. ولكن في كل الأحوال يجب التمحيص في ما يقال عن هذه التجارب.

وبالنسبة إلى تعدد الأقطاب في العالم، هناك تصورات لإمكانية تغير مراكز الثقل في العالم. ومن الدول المرشحة لذلك الصين والهند والبرازيل فهي دول كبيرة من حيث المساحة وعدد السكان. هذه التصورات تحتاج إلى تمحيص أيضا، فمن الخطأ اعتبار تعدد الأقطاب تطورا إيجابيا في حد ذاته، دون النظر إلى التطبيقات العملية لهذا التعدد. ومن الضروري عدم الخلط بين رفض الهيمنة واعتبار نماذج لا تضع حقوق الإنسان وحرياته وكرامته على رأس الأولويات نماذج مقبولة.

ومثلما تنتقد جوانب القصور في النماذج الغربية، يجب ألا يتم غض الطرف عن جوانب القصور في التجارب الأخرى، والتحديات الكثيرة والكبيرة على طريق طرح بدائل أفضل للبشرية. الهند على سبيل المثال لا تزال تعاني من انتشار الفقر انتشارا كبيرا. ولو تحولت الصين إلى الدولة الأقوى في العالم بنموذجها الحالي، الذي لا يزال اسميا شيوعيا، فإن المفاضلة بين هذا النموذج والنماذج الغربية الحالية ستكون لصالح الثاني.

وبالنسبة للمعايير، هناك الكثير من الخلط بين المعيار نفسه وبين التطبيق، فمن ناحية هناك رفض لوحدة المعايير، ومن ناحية أخرى اتهامات محقة بشأن عدم الصدق في تطبيقها، كأن تنتقد انتهاكات حقوق الإنسان في بلد، ويغض الطرف عنها في آخر.

إذا قيض للمرء أن يختار بمحض إرادته من مجموعة معايير تتعلق بحقوقه وحرياته، سوف يختار الأفضل. على سبيل المثال، عندما يكون هناك معيار معتمد على حرية التعبير والمعتقد، وآخر لا يؤمن بذلك، فإن الإنسان سيفضل الأول. وبناء على ذلك، لو افترضنا وجود معايير مختلفة، أفريقية وهندية وصينية وأوروبية وغير ذلك، وعقد المرء مقارنة موضوعية بينها، سنجد في المجمل أن المعايير المتعارف عليها دوليا في الوقت الحاضر هي الأفضل. وعندما تظهر معايير أفضل تقترن بالممارسة، فعندئذ تصبح هناك أرضية صلبة لانتقاد المعايير الدولية والسعي إلى استبدالها بالأفضل.

أما عدم التوافق بين المعايير والممارسة، فهذا يتطلب توجيه النقد للنفاق وعدم الانسجام في التطبيق، لا أن ترفض فكرة وجود معايير، أو ترفض المعايير نفسها. وسيكون جميلا وضع معايير أفضل وربط ذلك بممارسات لا تحيد عنها. ولكن الواقع حولنا يقدم لنا الكثير من الأدلة على أن البون بين المبدأ والممارسة شاسع، ليس في ما يخص الدول الغربية، بل ينطبق على كل الدول. ويشمل ذلك تطبيق القوانين المحلية. ولذا هناك صراع دائم من أجل أن يكون المبدأ والتطبيق متلازمين.

المسألة المتبقية هي: هل يمكن رفض المركزية الأوروبية تماما؟ تقول باربرا غيديس (2004، ص 2) إنه تمت كتابة الكثير من الدراسات الجيدة المتعلقة بالانتقال الديمقراطي، ولكن القليل من تفسيراتها العامة التي طرحت تنطبق على جميع الحالات. ولكنها في الوقت نفسه تدعو إلى وضع أسس لاعتبار «نموذج أو مفهوم أو طريقة متسما بالمركزية الأوروبية كما عرفها سمير أمين».

أتفق مع رأي غيديس، فهناك استسهال لتوجيه تهمة المركزية الأوروبية، فالأفكار لا ترفض لأنها أوروبية أو لأنها عربية لو كانت عربية. إذ لا عيب في الاستفادة من أفكار الآخرين وتجاربهم، وهذا هو الوضع الصحي، فردا على فكرة «صراع الحضارات» التي لاقت رواجا كبيرا بعد كتاب بهذا العنوان لساموبل هنتغتون، قال إدوارد سعيد (2008) في معرض انتقاد هنتنغتون: إن الثقافات ليست «كيانات مغلقة ومعزولة» وإنه جرى بينها عبر التاريخ «التبادل والتلاقح والمشاركة».

في رأيي أن تفادي المركزية الأوروبية تماما غير ممكن، فطالما هناك فجوة في درجة التقدم بين الدول الأوروبية/الغربية وغيرها في العالم، سوف يستمر التأثر بأفكارها وتجاربها. ولو كان الوضع معكوسا وكان العالم العربي هو المتقدم أكثر من غيره، لنشأت فكرة «المركزية العربية». الممكن هو نقد ورفض الجوانب التي تستحق ذلك، وخاصة تلك التي تسعى إلى فرض الهيمنة، وفي الوقت نفسه الاستفادة مما هو إيجابي وبناء من أفكار وآليات ووسائل.

(هـوامـش)

قضايا إعلامية
وهموم أكاديمية

ثقافة الصورة: ما لها وما عليها

أيهما أشد تأثيرا: الكلمة أم الصورة؟ المفاضلة بين الكلمة والصورة قديمة، فأنصار الكلمة تمثلهم مقولة الإنجيل «في البدء كان الكلمة» (يوحنا 1:1) وفعل الأمر «اقرأ» في القرآن (سورة العلق؛ الآية 1).

وأنصار الصورة تمثلهم مقولة شهيرة هي «الصورة تساوي ألف كلمة». ولكن الكلمة والصورة تواجدتا معا منذ القدم، وعلى مر العصور، ويشاهدان معا في المقابر الفرعونية والمعابد الإغريقية وغيرهما من آثار.

زاد انتشار ثقافة الصورة بعد ظهور السينما، وبعدها التلفزيون، الذي دخل كل البيوت. ونشأت علاقة تعاون بين الكلمة والصورة من خلال السينما والتلفزيون، فهذان يعتمدان على حكايات كتبت لتقرأ، ويتم اختيارها لاحقا لتصور، أو تكتب خصيصا لتصويرها كفيلم أو مسلسل تلفزيوني.

وكثيرا ما يقال إن بعض الروايات تكون أنسب من غيرها لتحكى بشكل مرئي من خلال فيلم. كما أنه كثيرا ما يقال إن الأفلام التي تعتمد على روايات لا تنقل إلا جزءا من الرواية، وقد يكون الشبه بين الرواية والفيلم محدودا.

ومع أن التليفزيون كان لديه ولا يزال ميزة الاستخدام كوسيلة تعليمية، إلا أنه تحول إلى وسيلة ترفيه وإعلان. وكغيره من وسائل الإعلام، يمكن أن

يستخدم كوسيلة تضليل وتحريض في أوقات الأزمات التي تكون الحقيقة فيها من أوائل الضحايا.

وليس هناك خلاف على أن للتلفزيون آثارا سلبية على الذهن والجسد، فالكم الهائل من الترفيه أسهم في انتشار الكسل الفكري والجسدي، فالجلوس مقابل جهاز التلفزيون والتسلي بالطعام أثناء المشاهدة أسهم في انتشار ظاهرة البدانة وما يتبعها من أمراض.

ولكن ثقافة الصورة بدأت تحقق حضورا طاغيا مع بدء ظهور تكنولوجيا الحاسوب الصغير، وما تتوفر عليه من برامج لإعداد العروض المرئية، والرسم، والتلاعب بالصور لأغراض فنية أو غير فنية مشروعة وأخرى غير حميدة.

برامج الرسم التي تثبت على الحواسب، ومن أشهرها برنامج فوتوشوب، صارت قبلة هواة الرسم، المبتدئين والمحترفين، لرسم اللوحات دون استخدام الألوان الزيتية وغيرها والفراشي ذات الأحجام المختلفة. وبتدقيق النظر قليلا يمكن التمييز بين لوحة رسمت باستخدام الحاسوب وأخرى بالطرق المعتادة. ولن يختفي الجدل على القيمة الفنية الجمالية لما هو مرسوم بالحاسوب والفرشاة.

برامج الرسم يستخدمها أيضا رسامات ورسامو الكاريكاتير، ومصممو الغرافيك لإعداد صور توضيحية أو بوسترات وإعلانات. وفي مجال التعليم، صار معتادا أن يقدم الأستاذ الجامعي محاضرته باستخدام شرائح فيها المزيج من الكلمات والصور، وصار مطلوبا من الطلبة تقديم عروض في الصف كجزء من واجباتهم الدراسية.

المقدرة على التلاعب بالصور من خلال برنامج فوتوشوب أثارت مخاوف في الدول الغربية حيث يستخدم جسم المرأة للترويج، فلم تعد الصور التي تنشر على صفحات المجلات طبق الأصل لصاحبة الصورة، إذ يتم التلاعب بها لتصبح المرأة ذات جسم مثالي جذاب، لكنه غير موجود في الواقع. وخطر ذلك

هو جعل النساء عموما، والشابات خصوصا، يعتقدن بأنه من الممكن أن يكون لهن مثل هذه الأجسام، وبالتالي إيذاء النفس من خلال نظم غذائية قاسية، أو اللجوء إلى عمليات تجميل.

وسهلت الإنترنت، التي ترافقت أيضا مع الحاسوب الصغير، انتشار ثقافة الصورة، فهناك مواقع شجعت على نشر الصور، مثل فليكر وانستغرام، وأخرى شجعت الفيديوهات مثل يوتيوب. ولذا لم يعد معد فيلم أو فيديو بحاجة إلى قناة تلفزيونية أو دار سينما لعرض إنتاجه، ولم يعد المصور بحاجة إلى مجلة أو جريدة أو وكالة متخصصة لتكون المنبر لنشر صوره.

وسهلت الإنترنت أيضا انتشار ثقافة الكلمة أيضا، وكشفت في الوقت نفسه الضعف في التمكن من اللغة العربية. ولكن فترة انتعاش ثقافة الكلمة من خلال المدونات لم تعمر طويلا، فقد أجهزت عليها تقريبا مواقع التواصل الاجتماعي، وخاصة فيسبوك الذي أفسح المجال لاستخدام الكلمة والصورة والفيديو.

قبل انتشار الحواسيب الصغيرة، كانت هناك مؤشرات على انحياز مؤسساتي لثقافة الصورة. وقد شهدت بريطانيا في التسعينيات جدلا نتيجة تقليل الاهتمام بالإذاعات بخفض الميزانيات المخصصة لها، وزيادة الاهتمام بالتلفزيون بتخصيص موارد أكثر للبرامج والقنوات التلفزيونية.

وقد دافع محبو الإذاعات دفاعا حسنا عنها، وبينوا أن لها ميزات غير متوفرة للتلفزيون، منها السرعة في نقل الخبر، فالإذاعة لا تحتاج إلى كاميرات وتصوير ومونتاج للصور قبل بثها. كذلك، كلفة تشغيل إذاعة أقل بكثير من كلفة تشغيل قناة تلفزيونية. والاستماع إلى الإذاعة لا يشغل كل حواسك، فيمكن أن تستمع وأنت في السيارة، أو في المطبخ، أو في السرير قبل النوم، بينما التلفزيون يحتاج إلى سمعك وبصرك، ويوقفك أو يجلسك في مكان للمتابعة.

إن المفاضلة بين الكلمة والصورة مفاضلة عقيمة، فلن تختفي واحدة نتيجة انتشار الأخرى مهما كان كاسحا. وما يمكن فعله هو الإشارة إلى المظاهر السلبية لثقافة الصورة لتفاديها، وتجنب الوقوع في فخ أهدافها الخبيثة، وفي الوقت نفسه الاستفادة من إيجابياتها.

أحد المظاهر السلبية لثقافة الصورة استخدامها في غير سياقها وذلك لخداع الناس، كأن تستخدم صورة ضحايا زلزال في مكان ما في العالم لإيهام الناس بأنها صورة لضحايا نزاع مسلح في بلد آخر. وحتى قبل تفشي ظاهرة التضليل في حرب الفيديوهات بعد تفجر الأوضاع في بعض الدول العربية، كانت بعض الصور تنشر في سياق غير سياقها. إحدى هذه الصورة لفتاة تبيع شيئا على قارعة الطريق، ولكنها في الوقت نفسه تكتب. وقد تغيرت جنسية الفتاة حسب غاية من أعاد نشر الصورة.

والجانب المأساوي الصادم لثقافة الصورة استخدام الصور والفيديوهات التي تصور ذبح الرهائن والجنود والمقاتلين الأسرى، أو إعدامهم بإطلاق الرصاص على الرأس وهم معصوبو العينين ومربوطو اليدين وراء الظهر. الأدق في هذا السياق ألا تستخدم كلمتا ثقافة وصورة معا. هذه الصور والفيديوهات امتداد لممارسة الفظائع بغية الترويع. إلا أن أثرها على المدى القريب والبعيد هو إعلاء شأن القيم الإنسانية النبيلة، القائمة على احترام حياة الإنسان.

وعلى الجانب الإيجابي، كان لانتشار أجهزة الهاتف الجوالة، المزودة بكاميرات، دور كبير في تحدي هيمنة المؤسسات الإعلامية التي كانت تتحكم بما ينشر من صور ومعلومات. وقد اضطرت إلى استخدام صور وفيديوهات التقطها أشخاص من قلب حدث لم يكن بوسع المؤسسات الإعلامية أن تكون في قلبه، أو وصلت إليه كاميراتها متأخرة.

ولكي تكتمل الصورة في الإشارة إلى هذه النقطة، يجب أن اذكر أيضا أن نقاشا جرى حول هذه المسألة التي لم يواجهها العمل الصحفي من قبل، فتقليديا

كان المراسل من يأتي بالأخبار الموثوقة للمؤسسة التي يعمل لها. والمتحمسون لاستخدام الصور والفيديوهات من المواطنين استحدثوا صفة «صحفي مواطن». في المقابل، شهد النقاش دفاعا عن الأساليب الصحفية المتعارف عليها، والتحذير من مخاطر استخدام مواد مجهولة المصدر.

واستكمالا للحديث عن الجانب الإيجابي لثقافة الصورة، تجب الإشارة إلى أن أحدث الأمثلة الإيجابية على كسر احتكار المؤسسات الإعلامية للصورة والمعلومات هو ما جرى أثناء العدوان الإسرائيلي الوحشي على قطاع غزة في تموز(يوليو) وآب (أغسطس) 2014، فالصور والفيديوهات القادمة من غزة أفشلت محاولات وسائل الإعلام الغربية الترويج لخطاب إعلامي منحاز لإسرائيل، ويبرر لها ما تفعل، ويساوي بين الجلاد والضحية.

وكان للصور والفيديوهات القادمة من غزة دور في توسيع نطاق التضامن مع الشعب الفلسطيني عامة، وأهالي غزة خاصة، فعدد الضحايا من شهداء وجرحى، وعدد المشردين، وحجم الدمار، كل ذلك كان أكبر من أن يمكن تبريره بعد نشره، ولو بقي الأمر ضمن سيطرة المؤسسات الإعلامية الغربية لاكتفت بنشر القليل من الصور التي تظهر وحشية العدوان، وتحافظ بالتالي على صورة نظيفة للمعتدي.

تقتضي الموضوعية في عرض الأفكار ومناقشتها أن أذكر هنا أيضا أن هناك موقفين تجاه نشر الصور الصادمة، أحدهما يرى وجاهة في عدم نشرها إما كتعبير عن احترام للضحايا، أو لحماية المشاهدين من مشاهدة الأهوال. أما الموقف الأخر فيرى أن نشر الصور الصادمة ضروري ليعلم الناس مدى الفظائع الناتجة عن الحروب والقتل. هذا النقاش مشروع إذا لم يكن من قبيل كلام حق يراد به باطل، فحماية المشاهدين من صورة صادمة لا يجوز أن يستخدم كذريعة للتستر على أعمال المعتدي أو تبريرها، والمساواة بين الجلاد والضحية.

خلاصة ما سبق إذن هي أن هناك انتشارا كاسحا لثقافة الصورة، ولكن لا يمكن ولن يمكن القول إن ثقافة الكلمة انتهت. وظاهرة انتشار ثقافة الصورة يجب أن تخضع ككل الظواهر للتحليل والنقد، لا أن يتم الوقوف أمامها والإغراق في الإعجاب بها، أو معاداتها واعتبارها شرا لا بد من مقاومته. وسوف تتعايش ثقافتا الكلمة والصورة، مثلما تعايشت الصحف والإذاعات، والإذاعة والتلفزيون، ومثلما سيتعايش النشر الورقي والإلكتروني، وغير ذلك من ثنائيات.

الـعـدد 100: 2014/10

التحريض في برامج الدردشة

لا يخفى على متابعي التلفزيون اعتماد القنوات الكبير على برامج الدردشة. في ظاهر الأمور أن هذه البرامج كثرت تلبية لرغبة الناس في مشاهدة هذا النمط من البرامج. أما السبب الأهم فهو انخفاض تكاليفها مقارنة بغيرها، وخاصة المسلسلات (التمثيليات)، أو البرامج الوثائقية.

برنامج الدردشة يحتاج إلى شخص يجلس في الأستوديو، وفريق صغير يضم الفنيين والمخرج والمنتج ومساعدين. (في الإذاعة لا حاجة إلى نصف هذا العـدد). ويقوم برنامج الدردشة على دعوة أشخاص للحديث معهم.

قارن/ي كلفة إعداد برنامج دردشة مدته ساعة مع حلقة مسلسل تلفزيوني مدته ساعة أيضا. دون أن نعرف الأرقام الحقيقية يمكننا أن نستنتج أن تكاليف حلقة المسلسل أضعاف تكاليف حلقة الدردشة، والأسباب تشمل أولا عدد المشاركين من ممثلات وممثلين وفنيين ومخرج ومساعدين، وثانيا الوقت اللازم لإنتاج حلقة من مسلسل.

برنامج الدردشة يحتاج إلى بعض التحضير، إذا كان من يقدمه يهتم بذلك، ويشمل التحضير متابعة وسائل الإعلام، والبحث عن معلومات إضافية للتعمق أكثر في موضوع الحلقة لكي يمكن طرح أسئلة ينتج عنها للمشاهدات والمشاهدين معلومات مفيدة أو مقابلة ممتعة. وما أن

تنتهي الحلقة ينتهي عمـل الفريق، وفي اليوم التالي يبدأ العمل عـلى حلقة أخرى.

بالمقارنة حلقة المسلسل ينجز منها بضع دقائق مقابل ساعات من العمل، وإنتاج ساعة يحتاج إلى عمل أيام عدة. وبعد الانتهاء من التصوير تبدأ مرحلة أخرى من إعداد الحلقات وتجهيزها للبث.

البرامج الوثائقية أيضا تكلف أكثر من برامج الدردشة، فهناك سفر، ومقابلات، واستخدام مواد أرشيفية من المحتمل كثيرا أنه لن يمكن استخدامها إلا مقابل مبلغ من المال لمن يملك الأرشيف والحقوق. والعمل على حلقة من برنامج وثائقي مدته ساعة يستغرق وقتا طويلا، ولا يمكن أن يكون بضع ساعات على الأكثر قبل موعد بثه، مثلما هي الحال مع برنامج دردشة.

بعض برامج الدردشة مطلوب، فكلنا نحب أن نستمع إلى أشخاص لديهم ما يقال بخصوص موضوع نهتم به، ولكن المشاهدين الآن يقدم لهم الكثير من برامج الدردشة ابتداء من الصباح الباكر.

وقد تعددت أدوار برامج الدردشة والحكي، فهي كانت في العادة (ولا تزال) تركز على الفنانات والفنانين والمشاهير الآخرين، فهؤلاء عنصر جذب للمشاهدة، ومشاركتهم تكون أحيانا جزءا من حملة الترويج لفيلم سينمائي جديد، أو ألبوم أغاني، وغير ذلك.

من المؤسف أن أحد أدوار برامج الدردشة أصبح التحريض، فمن المشاهد المألوفة هذه الأيام أن يلقي مقدم البرنامج خطابا تحريضيا على أشخاص أو على تيارات.

لجوء وسائل الإعلام إلى التحريض له نتائج كارثية، وخير مثال على ذلك ما حدث في رواندا، التي ينتمي فيها حوالي 85% من ملايينها السبعة إلى الهوتو، وينتمي 14% منهم إلى التوتسي. متطرفو الأغلبية حملوا التوتسي المسؤولية عن المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسة في روانـدا. وفي عام 1994

بدأت عملية إبادة جماعية منهجية، أسفرت عن مقتل ثمانمئة ألف مواطن من التوتسي. وقد استخدمت الإذاعات للتحريض على التوتسي.

إن الإعلامي الذي يحرض قد يظن أنه لا يفعل ذلك، بل يدافع عن قضية عزيزة على قلبه، أو أن دافعه حبه لوطنه أو لشعبه. ولكن من يظن ذلك واهم، وطبعا هذا على افتراض حسن النية، أي أن المذيع يقوم بدوره بدافع ذاتي وليس مطلوبا منه تأدية الدور الذي يقوم به من الجهة التي يعمل لديها علنا كموظف، أو سرا مقابل امتيازات.

ومن البديهيات أن يحترم الإعلاميات والإعلاميون، مهما كانت مؤهلاتهم، الجمهور حتى لو كان في معظمه أميا. وبالتالي من يتوفر له منبر إعلامي عليه واجب أخلاقي لاستعماله بمسؤولية.

من الممكن أن ينتج عن التحريض الإعلامي في وسائل الإعلام العربية ما حدث في رواندا أيضا من إبادة جماعية لفئة من فئات المجتمع. وأي «نجاح» في ذلك هو أولا كارثة إنسانية، ثم يتحول «النجاح» الظاهري إلى وصمة لا تمحى مهما مر عليها من زمن.

العـدد 109: 2015/7

الصحافة والإنترنت: نهاية العصر الورقي

تنضم الصحيفة اليومية البريطانية، ذا انديبندانت قبل نهاية شهر آذار (مارس) 2016 إلى صفوف الصحف والمجلات التي توقفت عن الصدور بصيغة ورقية، وسوف تكتفي بالصدور بصورة إلكترونية. الصحيفة فتية مقارنة بغيرها من الصحف البريطانية، فهي دخلت الميدان في عام 1986، في حين أن غيرها من الصحف يصدر منذ مئة سنة أو أكثر.

نجحت ذا انديبندانت في مغامرة الدخول إلى ميدان الصحافة الذي شهد تكدسا في امتلاك وسائل إعلامية مختلفة وحصرها في أيد قليلة، من أشهرها روبرت ميردوك. وقد جاء الخطر على استمرارها في الصدور من حيث لا تتوقع، لا هي ولا غيرها، وأقصد الإنترنت.

أحدثت الإنترنت تغييرا عميقا في عادات القراءة ووسائل الحصول على المعلومات. وأذكر في بداية انتشار الإنترنت تبرير الصحف العربية عدم وجود مواقع لها بأن ذلك يؤثر على المبيعات، وعندما ظهرت مواقع إخبارية إلكترونية، تبين للصحف أن عدم وجودها على الإنترنت سيكون انتحارا.

وسرعان ما تحولت الإنترنت أيضا إلى وسيلة إعلانية، فصارت الإعلانات الثابتة والمتحركة تنشر في كل المواقع تقريبا، إلى درجة أنها تؤثر على متعة القراءة.

وقد تحولت الإنترنت منذ سنوات إلى البديل الوحيد للاستمرار في الصدور، وإلا فالإغلاق هو المصير المحتوم عندما تصبح جهة ما غير قادرة على توفير التكاليف، أو تحمل الخسارة نتيجة وجود مشروع آخر مربح ماليا، ولا تشفع لأحد شهرة أو عراقة أو مجد حقيقي أو متخيل.

الغريب أنه في الوقت الذي تقرر صحيفة مثل ذا انديبندانت وقف النسخة الورقية، هناك صحيفتان يوميتان تصدران بصورة ورقية، وتوزعان مـجانا، إحداهما مترو، التي تـوزع عـلى أبـواب محـطـات قـطارات الأنـفـاق (المترو).

المسافر الذي يرغب في تفادي الشعور بالضجر أثناء الرحلة يتصفح الصحيفة المجانية التي يجدها على باب المحطة، أو متروكة على مقاعد القطار. آخرون يشغلون أنفسهم بهواتفهم الجوالة، أو بقارئ إلكتروني.

الصحيفة اليومية الورقية المجانية الثانية هي ايفنينغ ستنادرد، وهي صحيفة مسائية لم تكن مجانية قبل سنوات، وصارت الآن مثل «مترو» توزع على مداخل محطات قطارات الأنفاق، وخاصة محطات وسط لندن. في الصحيفتين الورقيتين المجانيتين الكثير من الإعلانات، ولولاها لما أمكن استمرار صدورهما.

إذن ما بدا خطرا على الصحف الورقية في البداية أصبح المنقذ لها من الإغلاق. ولكن النشر الإلكتروني له قضاياه أيضا، فبعيدا عن المفاضلة العقيمة بين الورقي والإلكتروني، لا تزال مسألة نشر الصحف إلكترونيا مقابل رسوم اشتراك تشكل عقبة من غير السهل تجاوزها، لأن الجمهور اعتاد على الحصول على المعلومات من الإنترنت دون مقابل. (هناك العديد من الجهات التي لا تفتح ما تنشر إلا للمشتركين).

إضافة إلى ذلك، كل الخدمات المجانية مربوطة الآن بالإعلانات، فإذا ذهبت إلى موقع يوتيوب سوف تشاهد إعلانا قبل بدء كل فيديو تريد أن تشاهده، وقد تشاهد أكثر من إعلان أثناء مشاهدة فيديو طويل.

كما أن بعض المواقع التي نستخدمها، مثل فيسبوك، تحصل على معلومات من حاسوبنا عن المواقع الأخرى التي نزورها، فإذا ذهبت إلى موقع ما بحثا عن كاميرا رقمية، ثم ذهبت إلى فيسبوك ستجد أمامك إعلانات ذات علاقة بكاميرات رقمية.

الصحف الورقية التي تصدر مجانا يجب ألا تتوقع أن تجد فيها سبقا صحفيا يكشف فسادا مثلا، بل ستجد فيها الكثير من الأخبار عن الفنانات والفنانين وما شابه ذلك من أخبار لا تهمك حقا، ولذا إن اعتمدت عليها كمصدر معلومات، فسوف يتعمق جهلك بالشؤون العامة وما يؤثر على حياتك، بعد شهور قليلة (يحدث هذا أيضا إذا اعتمدت على مصدر إعلامي واحد، مهما كان جيدا).

الإشكالية الأخرى المتعلقة بالإنترنت هي أنها في بداياتها كانت الفضاء الحر، ولكنها اليوم وسيلة المراقبة، فإن كتبت شيئا لا يعجب السلطات في بلدك، تجد نفسك عرضة للاعتقال، وقد يحكم عليكم بالسجن الفعلي.

العـدد 117: 2016/3

الكوميديا الجديدة والشبابية في عصر يوتيوب

نجحت مجموعات من الشباب والشابات في دول عربية مختلفة في دخول ميدان الكوميديا بطريقة مختلفة شكلا ومضمونا، ومكنهم من ذلك التطور التقني والإنترنت والمواقع المختصة بعرض الفيديوهات كيوتيوب.

أقصد بالشكل الوسيلة المستخدمة للوصول إلى الجمهور، والأسلوب المتبع في إضحاكه، فبدلا من الفيلم السينمائي، أو المسرحية، أو البرنامج التلفزيوني، ظهرت الأفلام القصيرة (الفيديوهات) التي تمكن مشاهدتها باستخدام حاسوب (أو حتى هاتف جوال) مشبوك بالإنترنت، ومتوفرة في العادة على موقع يوتيوب.

ومن ناحية الشكل أيضا تم المزج بين أسلوب التنكيت والإضحاك على الواقف (ستاند أب كوميدي-Stand Up Comedy)، وتقنيات التصوير وتوظيف برامج الحاسوب لإضافة مؤثرات مختلفة.

أما من ناحية المضمون، فإن موضوعات الفيديوهات تركز على ظواهر اجتماعية إما لنقدها، أو لإبراز جوانب مختلفة منها تدفعنا للابتسام عندما نراها على الشاشة ولا ننتبه لها عندما نشاهدها أو نمارسها في الواقع.

تابعت بعض المبادرات الشبابية هذه على يوتيوب، وخاصة تجارب في الأردن، وتجربة مجموعة من الشباب في قطاع غزة. وهذا ما سأركز عليه في

هذه الكلمة. لا أظن أن اعتبار هذه الفيديوهات الكوميدية من فئة التنكيت على الواقف، ففي هذه الفئة يقف الكوميدي، الرجل أو المرأة، ويتحدث أمام الجمهور، ويلقي ما لديه من نكات أو ملاحظات ساخرة.

يمكن القول طبعا إن الجمهور في هذه الحال هو المشاهد في البيت أو العمل، ولكن عدم دقة التصنيف ليست هنا، بل في استخدام التقنيات التي تشمل المونتاج لحذف مقاطع، أو إضافة مؤثرات. وهناك أحيانا مشاركة من أكثر من شخص في الفيديو الواحد.

لكن غايتي هنا ليست الاعتراض على التصنيف، بل إلقاء الضوء على هذه التجارب الجديدة التي فتحت ميدانا كوميديا جديدا، وفتحت للمشاركين فيه، بعضهم على الأقل، الباب لإعداد برامج تلفزيونية، بدل الاعتماد على موارد ذاتية بسيطة، أهم أدواتها كاميرا رقمية، ثم وضع الفيديوهات في يوتيوب.

هناك سلسلة فيديوهات على يوتيوب ضمن قناة غاز الضحك (ان تو او كوميدي (N2O Comedy). لبعض الأشخاص أكثر من فيديو، كرجائي قواس، ونيكولاس خوري، وأحمد الخالدي، وعبد الرحمن صقر، ومحمد زكارنة، وليث العبادي، ونذير الخوالدة، وغيرهم. وضمن هذه المجموعة شاب تونسي (فادي إدريس)، تميز في فيديوهاته بأنه غاضب (معصّب)، الأمر الذي حُوّل لاحقا إلى موضوع حلقة لتفسير سبب غضبه. وهناك أيضا أميركي يجيد العربية إلى حد ما هو برت وير (Brett Weer).

مشاركات الشابات في فيديوهات هذه القناة تعد على أصابع يد واحدة، فهناك حلقة قدمتها سلسبيل بدار، وحلقتان قدمتهما جود بطاينة. وهناك حضور لشابات في بعض الأدوار التي يحتاجها الموضوع في بعض الفيديوهات. (قبل أيام قليلة من صدور هذا الـعـدد [90: 2013/12]، أضيفت حلقتان قدمتهما روسن حلاق).

وظهر ثنائي كوميدي يتكون من تيما الشوملي ورجائي قواس، عندما كانا معا بطلي سلسلة بعنوان «في ميل»، عن علاقة رومانسية تنشأ في العمل وتنتهي بالزواج. وانتقل الموسم الثاني من هذه السلسلة إلى قناة رؤيا التلفزيونية. وقد تفاوتت جودة الحلقات في الموسم الثاني (من حيث المواقف المثيرة للضحك)، وشملت دعاية مباشرة لبعض منتجات الشركات الراعية للمسلسل. وهذا في رأيي كان جانبا سلبيا. ويجب أن تكتفي الجهات الراعية بذكر أسمائها قبل الحلقة أو بعدها.

من التجارب الأخرى التي تابعتها فيديوهات «صد رد». بطلاها الرئيسيان يزن الشمايلة وحسن هاني. ولكن هناك شخصيات أخرى تشارك في الحلقات بينها صبي اسمه إيهاب أسعد. الحلقة التي أضحكتني كثيرا عنوانها «مسلسل أردني» الجزء الأول، وهي حول رجل اسمه جلال (معتصم البيك) يذهب إلى مطعم مع شابة اسمها أحلام (دانا الجراح)، ليطلب يدها في جو رومانسي، ولكنه لا يهنأ للحظة في المطعم.

وهناك تجربة لمجموعة من الشباب في فيديوهات بعنوان «فوق السادة» يشارك فيها أحمد غانم ومحمد زغول وأحمد مريان وحمزة الغزو ويوسف جعرون وجهاد لحلوح. الحلقة تتكون من مجموعة فقرات بطل كل فقرة شخص مختلف، ولكن لأحمد غانم (أبو الغور) دور رئيسي. وقد بدأ هذا الفنان بعمل سلسلة فيديوهات بعنوان «القوي» شاهدت سبعة منها حتى الآن.

قبل ذلك كنت شاهدت على يوتيوب حلقات من برنامج اسمه «بث بياخة» لثنائي كوميدي يتكون من وسام طبيله ورامي دلشاد، ولكن بمشاركة آخرين أيضا. والحلقة التي أضحكتني أكثر من غيرها واحدة عن فنان اسمه «كوكو شنشن».

وعلى نسق التجارب في الأردن، دخلت مجموعة من الشباب في غزة هذا المضمار بعمل سلسلة فيديوهات عنوانها «بس يا زلمة» يشارك فيها بشكل

رئيسي محمود زعيتر وهشام عدنان. وقد اغتنم فريق الحلقات ظاهرة الاهتمام الشعبي الكبير بالفنان محمد عساف أثناء مشاركته في برنامج عرب آيدول، للتذكير بالأسرى الفلسطينيين، وخاصة سامر العيساوي، الذي أضرب عن الطعام فترة طويلة من أجل الحصول على الحرية.

من الأشياء التي يجب تجنبها في الكوميديا استعمال الإعاقة مادة للإضحاك، سواء أكانت إعاقة في النطق أو لثغة أو ضعف السمع أو البصر. كل مرة أشاهد ذلك في عمل كوميدي ما أعتبره ضعفا في المقدرة على الإضحاك، فليس في الإعاقات ما يثير الضحك.

بعض المبادرات الكوميدية استخدمت الرسوم المتحركة لإعداد فيديوهات قصيرة جدا بعضها لا يتجاوز ثلاث دقائق. وكانت هناك محاولة ناجحة تجسدت في مسلسل كوميدي باستخدام الرسوم المتحركة وهو بعنوان «نهفات عيلتنا»، بثه التلفزيون الأردني (ولكني شاهدته على يوتيوب). وتميز هذا البرنامج بتعدد لهجات شخصيات المسلسل.

ينبغي أن أشير إلى وجود جهود جماعية وراء كل عمل فني، فهناك مبدعات ومبدعون يعملون ككتاب ومخرجين ومصورين ومختصين بالصوت أو ببرامج تحريك الصور، إلى آخره، ولكنهم لا يظهرون ضمن العمل الفني. يجب ألا ننسى أنهم جزء لا يتجزأ من عملية الإبداع التي تنتج هذه الكوميديا.

لا شك في أن التقنيات الحديثة من حواسيب وكاميرات رقمية وهواتف جوالة وخدمات الإنترنت السلكية واللاسلكية قد فتحت آفاقا جديدة، وأفسحت المجال لظهور شباب وشابات موهوبين ما كان لمعظمهم أن يظهر لو ظلت المجالات مقتصرة على المسارات القديمة كالسينما والمسرح والسينما والتلفزيون والإذاعة.

وبمساعدة التكنولوجيا، تمكن الشباب والشابات من الوصول إلى جمهور كبير في مختلف أنحاء العالم، وحصلوا على ردود الفعل على أدائهم

من خلال التعليقات التي يمكن للمشاهد كتابتها إذا استخدم يوتيوب وما شابهه من مواقع.

ومكنت التكنولوجيا أيضا جمهورا كبيرا موجودا في مختلف قارات العالم من تنويع ما يشاهده من كوميديا، من خلال إقامة جسر بين ما هو عمل فني محلي وجمهور موجود في أماكن عديدة، فحققت للعمل المحلي والمشاركين فيه المزيد من الانتشار والشهرة، ووفرت للجمهور خيارات إضافية متنوعة. وينطبق هذا أيضا على القراءة والكتابة من خلال النشر الإلكتروني.

الـعـدد 90: 2013/12

هموم أكاديمية: مراجعة الأدبيات

مراجعة الأدبيات (Literature Review) مهمة تواجه الباحثات والباحثين دائما. ولا تخلو رسالة ماجستير أو دكتوراه من قسم مخصص لمراجعة الأدبيات.

المقصود بالأدبيات هو ما نشر عن موضوع ما، أو على الأقل أهم ما نشر عن موضوع ما، فكثير من المواضيع كتب عنها أيضا الكثير الكثير، ومراجعة كل ما نشر عنها تصبح مهمة مستحيلة، ولذا تتم المراجعة بانتقائية يجري تبريرها وفق ظروف ومقتضيات بحثك.

عرفنا المقصود بالأدبيات، فما هو المقصود بمراجعتها؟ من المحتمل مواجهة مشكلة هنا، فكل مشرف/ة على رسالة بحث له/ـا فهم مختلف لمراجعة الأدبيات. ومن المحتمل أيضا أن تقدم/ي للمشرف/ة مراجعة أدبيات، فتأتيك الإجابة المحبطة: «هذه ليست مراجعة أدبيات».

وهكذا ستجد/ين نفسك في حيرة، فكل إعادة صياغة لمراجعة الأدبيات قد لا ترضي المشرف/ة. والشيء المشترك في رفض مراجعة الأدبيات هو القول إن هذه ليست مراجعة أدبيات. ولن تجد/ي من يقول لك ما هي مراجعة الأدبيات لتتم كتابتها كما ينبغي.

مراجعة الأدبيات كانت أكثر ما استهلك من وقتي وجهدي في بحثي وكتابتي رسالة نيل درجة الدكتوراه. وبعد مراوحة مكان لبعض الوقت، توقفت

عن التركيز على مراجعة الأدبيات، ووجهت اهتمامي للجوانب الأخرى من البحث. في الوقت نفسه، كنت أبحث عن تعريف واضح لمراجعة الأدبيات.

ولكيلا يقول لي أحد إن هذه ليست مراجعة أدبيات، أوضحت ما أعني بمراجعة الأدبيات، فعندما أكملت باقي المطلوب مني لإعداد الرسالة، عدت إلى الفصل التمهيدي، وأعدت تنظيمه، وخصصت جزءا موجزا منه لتوضيح ثلاثة مصطلحات هي: المنهجية، والإطار النظري، ومراجعة الأدبيات.

وكان توضيحي لمفهوم مراجعة الأدبيات على النحو التالي:

> مثلما هو متوقع، أشير في مختلف فصول الرسالة إلى ما كتبه أناس آخرون (الأدبيات). الغرض من ذلك يختلف عن الغرض من القسم المسمى مراجعة الأدبيات، فالغاية من هذا القسم هو تحديد مكان بحثي بين الأدبيات المتعلقة بالديمقراطية والإسلام والأردن. أما في الأقسام الأخرى [فصول الدراسة] فالإشارات إلى الأدبيات لها أغراض أخرى متل دعم حجة، أو نقدها، أو لتوضيح نقطة.

وفي ختام قسم مراجعة الأدبيات، حددت بعض الفجوات فيها. وأوضحت أن رسالتي سوف تسدها. كان في الأدبيات التي راجعتها فجوة من ناحية الوقت، بمعنى أن الدراسات التي اهتمت مثلي بموضوع الديمقراطية والإسلام، مع التركيز على حالة الأردن، توقفت عند مرحلة زمنية (1993)، وكانت منهجية البحث فيها مختلفة عن المنهجية التي اخترتها لبحثي.

ما تمكن إضافته بشأن مراجعة الأدبيات، وخاصة في سياق رسالة لنيل درجة عليا كالماجستير والدكتوراه، هو أن المراجعة لا تعني مجرد ذكر أو تلخيص للأدبيات ذات العلاقة، بل يجب تقييم الأدبيات بأسلوب نقدي يعترف بالإيجابي ويشير إلى الخلل أو النقص، فيساهم ذلك في توضيح أوجه اختلاف

بحثك عن بحوث من سبقوك، وبالتالي تحديد الجديد الذي سيأتي به بحثك. بهذه الطريقة يحصل تراكم معرفي، فتضاف لبنة أخرى إلى صرح المعرفة (أو قطرة إلى محيط المعرفة).

لن أحيلك إلى وصلات لموضوعات فيها المزيد من المعلومات عن مراجعة الأدبيات. ابحث/ي بنفسك، وأرجح أن تكتشف/ي اختلافا في تعريف المصطلح/المفهوم. المشرف/ة على بحثك صاحب/ة القول الفصل في هذا الشأن، هذا إذا حدد/ت لك المقصود، ولم يتم الاكتفاء بالقول: هذه ليست مراجعة أدبيات.

قدمت لك أعلاه خلاصة تجربتي مع مراجعة الأدبيات. وسأحدثك في مرات قادمة عن النظرية/الإطار النظري والمنهجية.

الـعـدد 101: 2014/11

هموم أكاديمية: النظرية/الإطار النظري

التحيز في الوسط الأكاديمي للنظرية والتنظير كاسح، خلافا للحال في الماضي القريب.

كان من الممكن للراغب/ة في إجراء بحث للحصول على درجة الدكتوراه الذهاب إلى مقر الأرشيف الوطني، أو أرشيف مؤسسة رسمية، كوزارة الخارجية مثلا، للتعمق في موضوع ما من خلال دراسة وثائق أفرج عنها أو يسمح للباحث/ة بالاطلاع عليها. وبعد أن تتم دراسة الوثائق، تكتب رسالة تشمل أقصى ما يمكن معرفته عن الموضوع، دون أن تكون هناك حاجة لدراسته أو عرضه وفق نظرية من النظريات الشائعة في مجال الاختصاص، أو أن تكون خلاصة البحث تأكيدا لصواب نظرية، أو إثباتا لخلل فيها، جزئيا أو كليا.

من غير المرجح في الوقت الحاضر أن تمكن دراسة موضوع دون الاسترشاد بنظرية وعرضه ضمن إطار نظري، بل من لحظة تقديم مقترح البحث، صار مطلوبا الإشارة إلى البعد النظري للبحث.

تعلمنا في دروس الرياضيات بعض النظريات. على سبيل المثال، نظرية تساوي الزاويتين المتقابلتين بالرأس. يتم شرح برهان النظرية، وبناء عليها نحل المسائل في الواجبات والامتحانات. بعبارة أخرى، النظرية في السياق العلمي لها صيغة محددة يمكن برهانها وتوظيفها في حل مسائل ذات علاقة. في الدراسات

الإنسانية والاجتماعية (التي تسمى علوما أيضا) هناك ما يسمى نظريات، ولكنها لا تشبه النظريات الرياضية، فنظرية تساوي الزاويتين المتقابلتين بالرأس ليس لها مؤيد ومعارض. أما في العلوم الاجتماعية والإنسانية فما يسمى «نظرية» لها مؤيدون ومعارضون.

لنأخذ على سبيل المثال نظرية التحديث (modernization theory) التي تتعلق بدراسات التنمية، وكيف تنتقل الدول من مرحلة إلى أخرى أكثر تطورا. عندما تظهر نظرية من هذا القبيل قد تشتهر ويشار إليها كثيرا في الدراسات ذات الصلة، ولكن بعد فترة من الزمن تطول أو تقصر، تظهر نظرية مناقضة.

في سياق التنمية أيضا، انتقدت نظرية التحديث على أساس اعتبارها أن التطور يتم بشكل خطي، بمعنى أن الانتقال من مرحلة تنموية إلى أخرى يتم تلقائيا بعد اكتمال كل مرحلة، بينما الأمر في رأي معارضيها ليس كذلك. وظهرت مقابلها نظرية التعبية (dependency theory)، التي تحمّل الدول التي استعمرت الدول النامية المسؤولية، وتعتبر أنها صاغت الاقتصاد بحيث تكون الدول النامية معتمدة على المتطورة.

مثلما ذكرت في حديثي السابق عن مراجعة الأدبيات، وجدتني بحاجة إلى الإشارة إلى تعريف النظرية في الفصل التمهيدي من بحثي، حتى لا يقال لي إن هذه ليست نظرية، أو إن هذا ليس إطارا نظريا، مثلما قيل لي مرارا هذه ليست مراجعة أدبيات.

ولذلك، ذكرت في الفصل التمهيدي أن بروار [Brewer 2000] (ص 192) يعرّف النظرية بأنها «مجموعة مترابطة من الافتراضات حول الشؤون الإنسانية والعالم الاجتماعي تشرح نواظمها وخصائصها». ويضيف أن النظريات «ليست بيانات وصفية». ويشير هيوبرمان ومايلز (1994، ص 18) إلى أن دور الإطار النظري «تفسير الأشياء الرئيسية التي ستدرس—العوامل أو البنى أو المتغيرات الرئيسية—والعلاقة المفترضة بينها».

سوف نجد في أي دراسات اجتماعية وأدبية نظريات وليس نظرية واحدة. قد تجد/ين نظرية مناسبة لبحثك، ولكن اختيارك قد لا يلقى استحسان المشرف/ة، أو من تسند إليه مهمة تقييم مسار بحثك إضافة إلى المشرف/ة (هذه ترتيبات تحددها كل جامعة لطلبة الدراسات العليا).

عندما أنهيت البحث وبدأت كتابة الرسالة، وجدت أن أنسب إطار نظري لتفسير الظاهرة التي درستها هو تفسير رستو (1967) وما اعتبره متطلبات مسبقة لتحول المجتمعات إلى ديمقراطية. لمست اعتراضا على ذلك على أساس أنها قديمة. كان رأيي في المقابل أن هذا لا يعني أنها لا تصلح كإطار نظري، فقد لا تفسر كل شيء، وهي بهذا لا تختلف عن غيرها، ولكنها تفسر بصورة أفضل من غيرها الظاهرة قيد الدرس. ليس كل ما هو قديم غير صالح، وإلا لتوقفت الجامعات عن تدريس الفلسفة الإغريقية على سبيل المثال.

مسيرة الراغب/ة في الحصول على الدكتوراه (والدراسة الجامعية عموما)، لا تسير في خط مستقيم، وحجم المعاناة قبل الوصول إلى الغاية قد يكون كبيرا. أسوأ مصدر للمعاناة هو الإشراف، فمن المحتمل أن تتعرض/ي من المشرف/ة لإحباط من خلال عدم الرضا الدائم عن إنجازك.

للمشرف/ة، نظريا، مصلحة في نجاحك، ولكن بعد فترة من الإشراف يتبين أن بعض المشرفات والمشرفين لن يهمهم مصيرك. ومثلما الحال في أشياء أخرى في الدنيا، ستلقى المسؤولية عليك لا على غيرك.

إذا كانت معاملة المشرف/ة لك فوقية أو دكتاتورية أو قائمة على الشك في قدراتك، سوف تكون مسيرتك نحو الحصول على الدرجة العلمية العليا كابوسا، هذا إذا تكللت بالنجاح.

وإذا كانت المعاملة مثل تعامل زميل/ة أكثر خبرة مع زميل/ة أقل خبرة، وفيها الكثير من التشجيع والثقة في قدراتك، لن تكون الرحلة سهلة، ولكن العقبات تكون من نوع مختلف، كأن تتعلق بتوفر المراجع مثلا. والتغلب على

هذه العقبات أسهل بكثير من التعامل مع العقبات التي يضعها الأشخاص في طريقك، وخاصة عندما تكون لهم مسؤولية إصدار حكم يقرر مصير محاولتك الحصول على الدرجة العلمية المرغوبة.

Brewer, J. 2000. *Ethnography*. Buckingham: Open University Press.

Huberman, M. and Miles, B. 2002. *The Qualitative Researcher's Companion*. Thousand Oaks: Sage Publications.

Rustow, D. 1967. *A World of Nations: Problems of Political Modernization*. Washington, DC: Brookings Institution.

العـدد 102: 2014/12

هموم أكاديمية: المنهجية

تحدثت في مرتين سابقتين عن هموم أكاديمية متعلقة بمراجعة الأدبيات والنظرية/الإطار النظري. وفي هذه المرة سوف أخصص الحديث للمنهجية، فهي من مصادر الهموم للباحثات والباحثين في الدراسات العليا، وفي العادة يطرح على الباحث/ة سؤال متعلق بالمنهجية عند مناقشة رسائل الماجستير والدكتوراه.

كثرة الحديث عن المنهجية تحولها إلى هاجس، وتجعلها تبدو أمرا خارقا للعادة وتحتاج إلى اجتراح معجزات. وزاد من الضباب المحيط بها في حالتي أن الإشارة إليها كانت بالإنجليزية: ميثودولوجي (methodology). ولذلك، حديثي يتركز هنا على التعبير كما هو بالإنجليزية لأنه أسهم في زيادة الضباب، بينما مصطلح «المنهجية» بالعربية لا ينطوي على الضبابية ذاتها المتعلقة بـ«ميثودولوجي».

للتأكد من صحة أو خطأ ما يقال لك عن المصطلحات، لا بد من استقصاء صواب ما يقال لك. بعض المصطلحات يتم ترديدها كثيرا، ولكن معناها في ذهني القائل والمتلقي قد يكون مختلفا.

أول ما أدركته عند الرجوع إلى الكثير مما كتب عن المنهجية، أنه من الخطأ استخدام «ميثودولوجي» إذا كان القصد المنهج/المنهجية (الطريقة)،

فمصطلح ميثودولوجي يعني علم المناهج/الطرق، على غرار مصطلح علم الأحياء (biology).

لكن استخدام مصطلح ميثودولوجي في سياق الحديث عن منهج البحث خطأ شائع جدا، ودون اكتشاف ذلك بنفسك، وتوثيق ما اكتشفت، لن يمكنك سد باب يأتي منه دون أساس صائب خطر الإشارة إلى وجود نقص أو خلل في عملك على البحث وإعداد الرسالة، سواء أجاءت الإشارة من المشرف/ة أم ممن توكل إليه جامعتك مهمة الاطلاع على بعض ما كتبت أثناء مراحل الكتابة المختلفة.

المصطلح الصحيح في سياق الحديث عن منهج البحث هو ميثود (method)، وتمكن ترجمته إلى الطريقة، أو المنهج، ويمكن أيضا استخدام صيغة الجمع ميثودز (methods). وينصح من يحسنون التمييز بين ميثود وميثودولوجي باستخدام تعبير بديل وهو بروسيجار (procedure)، ويعني الإجراء، أي الخطوات التي اتبعتها في البحث.

بعد الكثير من القراءة، وجدت أن مناهج البحوث تقسم إلى فئتين: الكمي (quantitative) والنوعي (qualitative). الكمي يعتمد على الإحصاءات وتحليلها والخروج باستنتاجات بناء على ذلك. في المقابل، المنهج النوعي يتوصل إلى الاستنتاجات دون الاعتماد على الإحصاءات (ستراوس وكوربن 1998، ص ص 10-11).

لا يعني المنهج النوعي عدم استخدام أرقام وعمليات حسابية، ولكن المجمل يكون نوعيا. ولا يمكن الفصل التام بين النوعي والكمي، وما قد يتفرع عنهما، ولذا من المحتمل كثيرا أن يكون منهج بحث ما مزيجا من مناهج فرعية: نوعي ودراسة حالة مثلا، أو أن يكون جزء من البحث عمليا (empirical)، وجزء آخر نظريا (theoretical).

من المصاعب التي واجهت أثناء بحثي فهم سبب الاعتراض على الحالة التي اخترتها للدراسة (case study)، فلم يكن واضحا لي إن كان الاعتراض على الحالة نفسها، وبالتالي عليّ تبرير اختيارها بشكل أفضل، أو اختيار حالة أخرى، أم أن الاعتراض على منهج دراسة الحالة.

عندما جاءني الرد كان فيه تركيز على أهمية التوصل إلى استنتاجات يمكن تعميمها، وبالتالي أصبح واضحا أن الاعتراض كان على منهج دراسة الحالة ككل، وهذا كان من وجهة نظري اعتراضا غريبا، فمنهج دراسة الحالة ليس جديدا. وتركز الاعتراض على أن دراسة حالة ما لا تجعل من الممكن الخروج باستنتاجات عامة على أساسها.

للتغلب على هذا الاعتراض، بررت بشكل أفضل اختيار الحالة، وأوضحت أن دراسة الديمقراطية في العالم الإسلامي مهمة أكبر من أن يتولاها باحث واحد، ولو قلت في مقترح البحث إنني أريد أن أدرس الديمقراطية في كل العالم الإسلامي، لاختلفت أرضية الاعتراض ولقيل لي كيف يمكنك أن تدرس كل الدول ذات الأغلبية المسلمة؟

دافعت أيضا عن منهج دراسة الحالة في الفصل التمهيدي من الرسالة، وقلت إنه منهج مستخدم كثيرا، وأشرت إلى أن بعض رسائل الدكتوراه في جامعتي كانت عن شخص واحد، وليس دولة واحدة.

يقول فان واغينان (1991، ص 114)، إن مبرر البحث هو أن فعل ذلك يساعدنا على الفهم، ويحذر من تبرير البحث بأن له «تطبيقات عملية».

خلاصة القول هنا إن مما يعيق مسيرة الباحث/ة مواقف مبنية على فهم خاطئ لمصطلحات أو منهجيات أو نظريات. وتفادي هذه العراقيل يكون بمزيد من التعمق، وتقصي صحة ما يقال لك من المشرف/ة أو غيره/ـا.

ولكي أبدد الضباب أكثر اطلعت على مجموعة من رسائل الدكتوراه. هناك قواسم مشتركة في الرسائل طبعا، ولكن فيما يخص المنهج تحديدا، وجدت

اختلافا كبيرا في الرسائل، فهناك من كتب عنه كثيرا، وهناك من خصص له جزءا من فصل، وهناك من كتب عنه ملاحظة في الهامش.

على ضوء ما شاهدت في عدد من الرسائل، حذوت حذو من خصصوا فصلا تمهيديا يتكون بشكل رئيسي من ثلاثة أجزاء: المنهج، والنظرية/الإطار النظري، ومراجعة الأدبيات. وضمنت هذا الفصل شرحا لبعض المصطلحات التي كررت على مسمعي، وتبين لي أن الفهم الشائع والمفترض لها ليس صحيحا.

Strauss, A. and Corbin, J. 1998. *Basics of Qualitative Research: Techniques and Procedures for Developing Grounded Theory*. Thousand Oaks: Sage Publications.

Van Wagenen, R. 1991. *Writing a Thesis: Substantive Style*. Englewood Cliffs NJ: Prentice Hall.

الـعـدد 104: 2015/2

هموم أكاديمية: دراسة الحالة

من المنهجيات الشائعة في البحث الأكاديمي دراسة حالة (case study)، ولذا لم أتوقع أن ألقى أي اعتراض على ذلك، فدراسة الحالة كمنهجية مستخدمة منذ عقود، وباختيارها أكون سرت على درب سار عليه كثيرون قبلي. فوجئت بتعليق من أستاذ مهمته تقييم مسار البحث في مرحلة محددة، ويبدي فيه اعتراضا على دراسة الحالة، ولم يكن واضحا لي إن كان قصد الحالة التي اخترتها تحديدا، أم منهجية دراسة الحالة.

في بحثي عن مزيد من المعلومات عن منهجية دراسة الحالة وجدت مقالة منشورة في عام 2006 كتبها بينت فلوبيرغ (Bent Flyvbjerg) ويرد فيها على جوانب سوء الفهم الخمسة التي تحوم حول منهجية دراسة الحالة، وهي:

أولا: «المعرفة العامة النظرية (المستقلة عن السياق) ذات قيمة أكبر من المعرفة الملموسة العملية (المعتمدة على السياق)».

ثانيا: «لا يمكن المرء أن يعمم على أساس حالة واحدة، ولذا لا يمكن دارسة الحالة أن تسهم في التطور العلمي».

ثالثا: «دراسة الحالة مفيدة أكثر في وضع فرضيات، أي المرحلة الأولى من عملية البحث الكاملة، في حين أن الطرق الأخرى ملائمة أكثر لاختبار الفرضيات وبناء نظريات».

رابعا: «دراسة الحالة تتضمن تحيزا نحو تأكيد الحقيقة، أي وجود نزعة لتأكيد الأفكار المسبقة للباحث».

خامسا: «من الصعب في أحيان كثيرة تلخيص وتطوير مقترحات ونظريات عامة على أساس حالات دراسة محددة».

وقد وجدت في مقالة فلوبيرغ فقرة تتحدث عن تجربته، وفيها جانب مشترك مع تجربتي، ويقول: «عندما تقرأ نقدا كهذا لمنهجية معينة عددا كافيا من المرات، أو إذا سمعت المشرف على رسالتك يكرر النقد، تبدأ في الاعتقاد بأنه قد يكون صحيحا. هذا ما حدث لي، وجعلني أشك في منهجية دراسة الحالة. ومع مواصلتي البحث، وجدت أن كامبل [Campbell] غيّر وجهات نظره لاحقا 180 درجة، وأصبح من أشد مؤيدي هذه المنهجية».

مثلما تعاملت مع عقبات أخرى تتعلق بالمصطلحات والمنهجية بشكل عام، تعاملت مع الجانب المتعلق بدارسة الحالة ضمن الفصل التمهيدي في رسالتي لنيل الدكتوراه، واستعنت بما قاله فلوبيرغ عن جوانب سوء الفهم الخمسة ورده عليها. أثار استغرابي طبعا أن الاعتراض على منهجية دراسة الحالة قد تم في جامعة منحت درجة الدكتوراه لباحثين اختاروا أفرادا، وليس دولا، لبحوثهم، فإحدى رسائل الدكتوراه كانت عن برنارد لويس، وأخرى عن راشد الغنوشي، وثالثة عن حسن الترابي.

يقول فلوبيرغ إنه ينبغي ألا يعتبر رده على جوانب سوء الفهم الخمسة «رفضا للبحث الذي يركز على عينات عشوائية كبيرة ... كمسوح الاستبيانات المرتبطة بالتحليل النوعي، فهذا النوع من البحوث ضروري أيضا لتطور العلوم الاجتماعية». ويؤكد أن منهجيتي دراسة الحالة واستخدام عينات عشوائية كبيرة «ضروريان للتطور السليم للعلوم الاجتماعية».

الاعتراض على منهجية معروفة مجرد مثال آخر على الهموم التي تواجه الباحث/ة في موضوع ما في الدراسات العليا، وكباحث/ة يمكنك توقع عقبات

من أنواع مختلفة، ومنها المنهجية، والمصطلحات، والمراجع التي استخدمت أو لم تستخدم. وسيمكنك تجاوز العقبات من التعمق في الموضوع، وعرض حججك ومبرراتك بطريقة مختلفة، والبحث عن المزيد من الأدلة التي تعزز وجهة نظرك، دون تجاهل وجود وجهات نظر أخرى.

= = =

ملاحظة: توثيق المقتطفات أعلاه بالإشارة إلى رقم صفحة غير ممكن بالنظر إلى الاعتماد على النسخة الإلكترونية المنشورة على الإنترنت على الرابط التالي:

http://arxiv.org/ftp/arxiv/papers/1304/1304.1186.pdf

يشير كاتب المقالة إلى أنها نشرت في دورية مختصة، وفيما يلي التوثيق الكامل.

Bent Flyvbjerg, «Five Misunderstandings About Case-Study Research», Qualitative Inquiry, vol. 12, no. 2, April 2006, pp. 219-245.

المرجعان أدناه ذكرهما كاتب المقالة (Flyvbjerg) في قائمة مراجعه، وأعيد نشرهما نظرا لذكره اسم كامبل في فقرة مقتطفة أعلاه.

Campbell, Donald T. (1975). «Degrees of Freedom and the Case Study», *Comparative Political Studies*, 8(1):178-191.

Campbell, Donald T. and Stanley, J. C. (1966). *Experimental and Quasi-Experimental Designs for Research*. Chicago: Rand McNally.

هموم أكاديمية: النموذج

سوف أتحدث في هذه المقالة من سلسلة هموم أكاديمية عن مصطلح النموذج (model)، وهو من المصطلحات التي تستخدم ويفترض أن لها معنى محددا، ولكن عند التعمق في البحث يتبين أننا لن نعرف المقصود بالنموذج إلا إذا عرّف مستخدمه ما يقصد بذلك.

واجهت هذا المصطلح أثناء بحثي لنيل الدكتوراه، عندما استخدمه أستاذ من داخل الجامعة مكلف بتقييم مسار بحثي في مرحلة مفصلية، وأشار إلى أن بحثي يجب أن يستكشف «مضامين الدراسة بالنسبة إلى نماذج الديمقراطية» عندما تعمقت في البحث عن معنى نموذج، وجدت له استخدامين مختلفين تماما. على سبيل المثال، ماكفيرسون (1977) يستخدم «نموذج» بمعنى مفهوم نظري لعرض أو شرح ظاهرة قيد الدرس (ص ص 2-3).

أما هيلد (1995) فيستخدم مصطلح «نموذج» بصورة محددة أكثر، فهو يقول إن هناك ثلاثة نماذج للديمقراطية: الأول الديمقراطية المباشرة أو التشاركية؛ والثاني الديمقراطية الليبرالية أو النيابية؛ والثالث ديمقراطية الحزب الواحد. ويضيف هيلد أن كثيرين يشكون في كون النموذج الثالث شكلا من أشكال الديمقراطية (ص 5).

هناك مجال لمناقشة هيلد في توصيفه للنماذج الثلاثة، من ناحية اعتباره الديمقراطية المباشرة والتشاركية نموذجا واحدا، وكذلك الأمر بالنسبة للنموذج الثاني. أما الثالث، فلم يعد هناك شك في أن ديمقراطية الحزب الواحد ليست ديمقراطية، بل شكل من أشكال احتكار السلطة والاستبداد. ولكن الغاية هنا ليست مناقشة هيلد، بل إظهار أن استخدام مصطلح «نموذج» لا يعني شيئا واحدا، ونحتاج دائما إلى معرفة تعريف مستخدمه له.

ولتفادي مناقشة رسالة الدكتوراه على أساس تعريف مفترض واحد لمصطلح «نموذج»، وضعت ضمن الفصل التمهيدي لرسالتي نقاشا للمصطلح، مع إشارة إلى المثالين أعلاه.

وجهة نظري كانت ولا تزال، أن جوهر الديمقراطية واحد، ولكن آليات التطبيق هي التي تختلف، فالجوهر ينطوي على حريات مكفولة دستوريا، وانتخابات دورية حرة ونزيهة يتنافس فيها مرشحون، وليس استفتاء على مرشح واحد.

ما يختلف بين بلد ديمقراطي وآخر هو الإجراءات التنفيذية والهياكل السياسية، فالنظام في الولايات المتحدة رئاسي، وفي بريطانيا ملكي، وفي الأولى مجلسا نواب وشيوخ يتم الوصول إليهما عبر الانتخابات، في حين أن العضوية في مجلس النواب (العموم) البريطاني بالانتخاب ومجلس اللوردات بالتعيين. وقد تكون الانتخابات من دورتين أو دورة واحدة، وغير ذلك من مسائل تفصيلية وإجرائية، ولكنها لا تغير الجوهر المعتمد على انتخاب الشعب لمن يريد أن يدير الحكم بالنيابة عنه.

للمصطلحات في الوسط الأكاديمي جانب آخر يستحق تسليط الأضواء عليه، فبالإضافة إلى استخدامها على افتراض أنها تعني شيئا واحدا محددا، ثم يتبين بشيء من التعمق أن هذا غير صحيح، فإن الكثير من النقاش الأكاديمي يعتمد على الاعتراض على صحة ودقة المصطلحات. ومن نتائج ذلك أن النقاش

يظل يدور في إطار ضيق وبالتالي يصبح جافا. ونجد أيضا إنتاجا مستمرا لمصطلحات جديدة يعتقد من يبتكرها أنها أدق من مصطلح غيره.

= = =

Held, D. 1987. *Models of Democracy*. Stanford: Stanford University Press.

Held, D. 1995. *Democracy and the Global Order: From the Modern State to Cosmopolitan Governance*. Cambridge: Polity Press.

Macpherson, C. B. 1977. *The Life and Times of Liberal Democracy*. New York: Oxford University Press.

العـدد 106: 2015/4

عــود نــديـات

عـود الـنـد تبدأ سنتها الثامنة

لهذا الـعـدد، 84 [2013/6]، نكهة مميزة لأكثر من سبب، فبه تبدأ السنة الثامنة من **عـود الـنـد**، وفيه عدد جيد من الكاتبات والكتاب الجدد، وتنوع في المحتوى يجمع بين البحوث الموثقة والقصص والخواطر. وفيه أيضا عطر ذكريات جميلة عدت بها من القاهرة وغزة (*) أواخر شهر نيسان (أبريل) 2013.

ومن منطلق التقدير والاحترام لكل من شارك في أعداد السنة السابعة، وللقارئات والقراء الذي تفاعلوا بالتعليق، أو اكتفوا بالقراءة، أود أن أقدم تقريرا موجزا عن السنة السابعة. وكلي أمل أن نواصل السير معا على طريق الوصول إلى ذرى ثقافة عربية راقية تحترم الإنسان، وتوفر له البيئة المناسبة لمختلف أشكال الإبداع.

خطت **عـود الـنـد** خلال سنتها السابعة خطوات نوعية، ورسخت حضورها ومكانتها كمجلة ثقافية راقية لأنها تنشر وفق معايير جودة، وعلى أساس نشر الجديد والحصري، وتحقق في الوقت نفسه زيادة مطردة في عدد الزيارات لموقعها.

بحوث عالية الجودة

نشرت المجلة خلال السنة السابعة مجموعة كبيرة من البحوث الأصيلة. وتقديرا للباحثين والباحثات، وتشجيعا للبحث، تتصدر البحوث مواد الـعـدد

المنشورة فيه. ويستحق باحثو وباحثات الجزائر الإشادة بما يرسلون للمجلة، وباستجابتهم لطلبات التعديل عندما أشعر بوجود حاجة لذلك. هذا هو الموقف الصحيح في العلاقة بين الكاتب/ة وجهة النشر.

كاتبات وكتاب جدد دائما

لا يخلو عدد جديد من كاتبات/كتاب جدد، محترفين أو مبتدئين، ومن مختلف أنحاء العالم العربي. وصار واضحا أن الأزهار تتفتح في حديقة **عـود الـنـد** على مدار السنة.

الاهتمام بالإصدارات الجديدة

اهتمت **عـود الـنـد** بالإصدارات الجديدة بنشر أخبار موجزة عنها، أو نشر مقتطفات منها، ووضع صورة مصغرة للغلاف في الحالتين. كما أن المجلة أهديت نسخا من إصدارات جديدة. أشكر كل من فعل ذلك.

زيادة في عدد زيارات الموقع

هناك زيادة كبيرة في عدد الزيارات، بحيث أصبح ألف زيارة يوميا أمرا متكررا كل شهر. وخلال 23 شهرا، أي قبل إكمال السنة السابعة، تجاوزت المجلة عتبة ربع مليون زيارة. أكثر من ثلثي الزيارات يتم بعد استخدام محركات البحث، وهذا يعني أن حضور **عـود الـنـد** في الإنترنت جيد.

تبويب المواد حسب الموضوع

تم في الآونة الأخيرة تبويب المواد المنشورة خلال السنتين الماضيتين، وهذا من إيجابيات استخدام نظام النشر المعروف باسم سبيب [SPIP]. يمكن الآن تصفح المجلة بطريقتين: عـددا عـددا أو حسب الموضوع.

عـود الـنـد في الإعلام

كانت تجربة **عـود الـنـد** في النشر الثقافي الإلكتروني موضوعا رئيسيا في حلقة من برنامج «مقابسات» الذي تبثه قناة الحوار (لندن)، ويقدمه د. مازن مصطفى. أذيعت الحلقة يوم الثلاثاء، 2013/1/22، وأعيد بثها. ضيف الحلقة الآخر الناقد إبراهيم درويش.

وختاما، ما تحققه **عـود الـنـد** من إنجازات مصدر فخر واعتزاز لكل المشاركات والمشاركين فيها. ومن حقنا أن نفخر أيضا لأننا نسبح عكس التيار الذي يريد أن يجرفنا إلى الكتابة على جدران فيسبوك والتعبير عن الأفكار أو الذات بالضغط على أزرار أو بالصور أو بعدد محدود من الكلمات.

(*) نشر في الـعـدد موضوع عنوانه «لمصر أم لربوع الشام؟» عن رحلة عبر القاهرة إلى غزة ضمن مبادرة من المجلس العالمي لكتب اليافعين ورئيسة فرع فلسطين، جهان حلو.

الـعـدد 84: 2013/6

عـود الـنـد تتم سنتها الثامنة

أمام عينيك عزيزي القارئ، عزيزتي القارئة، عدد جديد يفخر بتقديم نفسه إليك، فهو أولا زاخر بالمواد القيمة، إذ يضم العديد من البحوث، وثانيا لأنه مسك ختام السنة الثامنة من **عـود الـنـد**، المجلة الثقافية الشهرية، التي يلتقي فيها محبو العربية في كل مكان.

كانت **عـود الـنـد** تسبح منذ البداية عكس التيار، فهي صدرت بصيغة إلكترونية، التي كانت محل نقاش متجاهل للواقع. ولكن التقدم التقني فرض نفسه على المؤسسات التي تصدر صحفا ومجلات في مختلف أنحاء العالم، بما في ذلك الدول العربية، فتوقفت صحف ومجلات عن الصدور ورقيا.

وأشهر الحالات عربيا في مجال الأدب والثقافة اضطرار مجلة «الآداب» العريقة إلى التوقف عن الصدور ورقيا على أن تعود في وقت ما في المستقبل إلى الصدور بصيغة إلكترونية.

دخلت **عـود الـنـد** مجال النشر الثقافي على أمل تحقيق أهداف صغيرة، منها مد يد العون للكاتبات والكتاب المبتدئين من خلال مراجعة نصوصهم قبل نشرها، وبالتالي الحد من ظاهرة نشر نصوص مليئة بأخطاء من قبيل «أنتي؛ وكنتي؛ وأبدعتي» في سياق مخاطبة المؤنث.

والهدف الثاني أن تكون منبرا للنشر دون معرفة شخصية مسبقة أو واسطة أو شللية، بل على أساس غير تجاري أو ربحي، ووفق ضوابط جودة، وسياسة نشر معلنة، وفي موقع خال من الإعلانات.

كل نص يأتي للنشر في **عـود الـنـد** يخرج في حلة أبهى من التي أتى بها، فهو يراجع قبل نشره لتخليصه من الأخطاء التي ربما لم تتمكن عين الكاتب/ة من اكتشافها قبل إرساله. وعندما تتم معاينة أعداد المجلة من الأول وحتى هذا، لا يمكن عدم ملاحظة وجود أسلوب مشترك يطبق على ما ينشر.

استمرار **عـود الـنـد** في الصدور المنتظم يدل على أنها تلبي حاجة لدى المحترفين والمبتدئين، الذين لديهم الاستعداد لنشر النصوص الجديدة وعلى أساس حصري. وهذا العـدد، 95 [2014/5]، قد يكون بداية مرحلة جديدة في **عـود الـنـد** تتسم بوجود أغلبية من الباحثات والباحثين في أعدادها، ولكن الحكم اليقين في هذا الشأن متروك للأيام القادمة.

هل هناك قراء لما ينشر؟ أطرح هذه التساؤل لأن الشائع هو أن العرب لا يقرأون (كل تعميم من هذا النوع خاطئ). لو اكتفت **عـود الـنـد** بما صدر من أعداد، يمكنها التعويل على عدد زيارات يومي لا يقل عن ألف زيارة، ويتجاوز كثيرا 1500 زيارة. هذه أرقام يذكرها أكثر من برنامج إحصاء، من بينها إحصاءات غوغل.

لذلك، بوسع عموم الكاتبات والكتاب، وخاصة الباحثات والباحثين، الاطمئنان، فالبحوث على المدى الطويل تحقق عددا كبير من الزيارات. أعرف ذلك لأن برامج الإحصاءات ترصد الكلمات المستخدمة في محركات البحث، التي ينتج عنها زيارة لموقع المجلة. هناك دائما من يقوم بالبحث والقراءة، ولكن لا يهمه أو يهمها كتابة تعليق.

تحتاج **عـود الـنـد** مع بداية سنتها التاسعة الشهر القادم إلى مزيد من تعاون الكاتبات والكتاب في إرسال المواد مبكرا، وبعد مراجعتها، وتوثيق

المراجع والاقتباسات بصورة منهجية، فهذا ليس أمرا ثانويا. ولا بد من مزيد من الاهتمام بأحكام الطباعة واستخدام علامات الترقيم استخداما صحيحا. كل هذه أساسيات، ولا يجيز تجاهلها جمال الأسلوب وروعة الأفكار وخلاف ذلك من مبررات.

وفي ختام السنة الثامنة، أود أن أشكر كل الكاتبات والكتاب، والقارئات والقراء، والفنانات والفنانين التشكيليين، ومن قدم ويقدم لـ **عـود الـنـد** الدعم المعنوي من خلال كلمات التشجيع والتأييد التي تصلني مباشرة، أو بنشر أخبار صدور أعداد المجلة في الصحف أو المواقع بأنواعها، أو تسليط الضوء على تجربتها كما حدث في برنامج «مقابسات» التلفزيوني.

أتطلع إلى سنة تاسعة نرتفع خلالها معا خطوة أخرى، ونوسع معا مساحة الاهتمام بالجودة بما يكتب وينشر، على أمل أن ننظر إلى الوراء بعد سنوات ونقول بفخر: لقد ساهمنا في التغيير إلى الأفضل.

الـعـدد 95: 2014/5

عـود الـنـد تبدأ سنتها التاسعة

تخطو **عـود الـنـد** بصدور الـعـدد الحالي 96 [2014/6] الخطوة الأولى على درب السنة التاسعة، وتفعل ذلك بشعور يمتزج فيه الأمل والثقة والاعتزاز، فالاستمرار في حد ذاته إنجاز، ولكنه استمرار مرتبط ارتباطا وثيقا بالحرص على الجودة والتطور للمجلة ومن يشارك فيها، والسعي الدؤوب إلى المساهمة في الارتقاء بالثقافة العربية المنفتحة من خلال جهود جماعية تتمثل بالمشاركات المنشورة، وتوفير المنبر للنشر على أساس غير تجاري.

منذ بدأت **عـود الـنـد** في استخدام نظام إدارة محتوى في إصدار الأعداد، أي في حزيران (يونيو) 2011، شارك في المجلة أكثر من 200 كاتب وكاتبة. ونشر منذ ذلك الحين أكثر من ألف (1000) مادة. وهناك أكثر من أربعة آلاف تعليق (4000)، أي بمعدل أربعة تعليقات على النص الواحد.

ونظرا لتوفر جميع أعداد **عـود الـنـد** في موقعها، من الأول إلى الحالي، فإن محركات البحث تأتي للمجلة بزيارات لا تقل عن ألف زيارة يوميا. وتجب الإشارة إلى أن **عـود الـنـد** لا يحركها دافع زيادة عدد الزيارات، بل خدمة الثقافية العربية على أساس غير تجاري. وقد تم تسليط الضوء على تجربة **عـود الـنـد** في برنامج «مقابسات» التلفزيوني. كما أن موضوعين نشرا في **عـود الـنـد** تحولا إلى موضوعي نقاش في حلقتين أخريين من البرنامج. يضاف إلى ذلك، ظهور أخبار صدور أعداد المجلة في صحف ومواقع عربية.

سيلاحظ زوار موقع المجلة تعديلات طفيفة هدفها زيادة سرعة فتح صفحات المجلة، وذلك بالتقليل من عدد الوصلات (الروابط) التي تظهر على صفحة الغلاف وغيرها من الصفحات. وقررنا الاستغناء عن لوحة/صورة الغلاف، فالبحث عن عمل فني كان يستهلك وقتا طويلا قبل نشره، إذ لم ننشر يوما عملا فنيا دون موافقة مسبقة من صاحب/ة العمل. وصورة الغلاف الكبيرة تؤدي إلى إبطاء فتح الصفحة لزائر/ة الموقع.

الهدف الآخر لبعض التعديلات، كاستخدام حجم حرف أكبر، هو أخذ الحواسب اللوحية في عين الاعتبار، فلا شك في زيادة استخدامها للتصفح. ولو أمكننا أخذ كل الأجهزة في الاعتبار، بما في ذلك الهواتف الذكية، لفعلنا ذلك، وسنطبق الممكن من الخطوات في الوقت المناسب.

ويجب التذكير بأننا نهتم بوضع التكنولوجيا في خدمة الثقافة وليس العكس، فالنص هو محل اهتمامنا أولا وثانيا وثالثا، ونحيطه بالرعاية ليظهر في حلة باهية تسهل قراءته. ويسرنا دائما أن نسمع من بعض الراغبات والراغبين في النشر أنهم أرسلوا مادتهم الأولى بعد توصية من زميل أو زميلة، فمسار النشر في **عـود الـنـد** معلن وواضح المعالم ونرد على الاستفسارات دائما.

= = =

تحديث لكلمة الـعـدد 96، بتاريخ 2014/6/3: افتقد عدد من الكاتبات والكتاب لوحة/صورة الغلاف. ومع أن أسباب الاستغناء عنها وجيهة ومشروحة أعلاه، إلا أنني قررت أن أضع صورة غلاف بعد أيام من صدور الـعـدد 96، فمن الواضح أن متابعات ومتابعي المجلة لديهم استعداد لأن ينتظروا قليلا فتح صفحة الغلاف، مقابل مشاهدتهم لوحة/صورة جميلة عليه.

الـعـدد 96: 2014/6

عـود الـنـد تضيء 100 شمعة

للرحلات الطويلة علامات على الطريق. بدأت رحلة **عـود الـنـد** في صيف 2006. لم يكن زمن الرحلة معروفا. كانت محاولة منحتها ونفسي سنة لأختبر إن كانت ستنجح أم لا. واستمرت الرحلة، وها هي تبلغ معلم الـعـدد 100.

لا يمكن إصدار مجلة دون مشاركات من كاتبات وكتاب، ولا يمكن الاستمرار في الصدور لولا استمرار وصول المشاركات. وما يسر النفس أن الاستمرار واكبه تطور جعل المجلة تجذب الكاتبات والكتاب المحترفين، دون أن تغلق الباب في وجه المبتدئين والهواة. وهذا المزيج مفيد للفئتين، ويلبي احتياجات الباحثات والباحثين المختصين، وفي الوقت نفسه يوفر المواد المتنوعة التي تراعي اختلاف الأذواق.

مزايا النشر في **عـود الـنـد** عديدة، وأود التذكير بها مع أنها منشورة. للمجلة رقم تصنيف دولي (ISSN 1756-4212)، مثلها في ذلك مثل أشهر المجلات. وحصلت **عـود الـنـد** على رقم التصنيف من المكتبة البريطانية، وهي من أعرق المكتبات في العالم.

وتنشر **عـود الـنـد** وفق ضوابط جودة تشمل مراجعة النصوص قبل نشرها لتخليصها من الأخطاء النحوية والإملائية، إن وجدت، ونشر النصوص

بشكل يراعي أحكام الطباعة واستخدام علامات التنقيط استخداما صحيحا. يضاف إلى ذلك اهتمام كبير بالبحوث وتوثيقها.

ترد **عـود الـنـد** على استفساراتك ورسائلك، وترد بسرعة. والنشر في **عـود الـنـد** لا ينطوي على انتظار إلى أجل غير مسمى قبل نشر مشاركتك، وتخبرك **عـود الـنـد** يوم صدور الـعـدد الذي نشرت فيه مشاركتك. هذا يعني التعامل معك باحترام أعتبره واجبا أساسيا، ولكنه عملة نادرة في التعامل مع المؤسسات الرسمية والخاصة في العالم العربي.

لم تتعامل **عـود الـنـد** مع الثقافة والنشر بعقلية النادي النخبوي الذي يتم الدخول إليه بطلب عضوية توافق عليه إدارة النادي قبل السماح بدخوله. هنا يتم النشر وفق سياسة نشر معلنة، ويرحب بناء عليها بالجميع، ولا يدخل في اختيار المواد للنشر اعتبارات مثل الشهرة أو المعرفة الشخصية أو الذوق الشخصي أو الأيديولوجيا.

وموقع المجلة من المواقع القليلة الخالية من الإعلانات بمختلف أنواعها، ولا يوجد على صفحات المواد المنشورة ما يفسد التصفح والقراءة. وكل المواد التي نشرت في المجلة منذ عددها الأول متوفرة، وقد تحولت إلى أرشيف غني بالمواد البحثية والنصوص الإبداعية، وبدون إصدار أعداد جديدة يمكن المجلة التعويل على ألف زيارة يوميا، حسب إحصاءات الزيارات.

الجودة والتميز لا يمكن أن يتوفرا في مجلة تعيد نشر ما سبق نشره. تمسكت **عـود الـنـد** بشرط نشر الجديد المرسل للنشر الحصري فيها. ولسنا وحيدين في تطبيق هذه السياسة، فقد اطلعت على سياسة النشر لدى أكثر من جهة، وواثق مما أقول. والكثيرون من الراغبات والراغبين في النشر يعتبرون هذا الأمر طبيعيا، ويودون أن يكونوا بين المساهمين في التميز والجودة.

لم تكن الغاية من إصدار **عـود الـنـد** توفير موقع تنشر فيه المواد وحسب، بل تشمل الترويج لمقاييس راقية في النشر والبحث والكتابة، فمسألة توفير موقع سهلة، ولو تم توفيره وحسب، لساهمت **عـود الـنـد** في نشر المزيد من المواد التي لا تراعى فيها الأساسيات، ولكانت جزءا من مشكلة لا تزال متفشية، لا مساهمة في توفير حل.

يمكنني الإسهاب في الحديث عن **عـود الـنـد**، ولكن ليكن ذلك في وقت آخر، وفي سياق آخر غير كلمة الـعـدد. يكفي الآن أن نقف معا عند مناسبة الـعـدد 100 لنلقي التحية على أحدنا الآخر، ونجدد العهد على مواصلة التمسك بالمعايير الراقية والتطور.

الـعـدد 100: 2014/10

عـود الـنـد تكمل سنتها التاسعة

يوصلنا هذا الـعـدد، 107 [2015/5]، إلى ذروة السنة التاسعة من عمر **عـود الـنـد**.

مسك ختام السنة التاسعة من النشر الثقافي الراقي الذي بدأته **عـود الـنـد** في عام 2006 جاء من الجزائر، فقد تلقيت دعوة من جامعة جيلالي ليابس في مدينة سيدي بلعباس للمشاركة في ملتقى تكنولوجيا التعليم والعملية التعليمية الذي شهد على مدى يومين (15-16 نيسان/أفريل 2015) جلسات عديدة ناقشت مختلف جوانب قضية ذات أهمية قصوى، فهي تعنى بالتعليم وتسعى إلى استخدام التكنولوجيا من أجل الارتقاء به.

أعتبر هذه الدعوة تكريما لـ **عـود الـنـد** التي دخلت ميدان النشر الثقافي الإلكتروني لخدمة الثقافة العربية والمساهمة في الارتقاء بها على أساس غير تجاري. وقد صمدت في الميدان رغم المصاعب المختلفة، وتمسكت بالنشر وفق ضوابط جودة، وحرصت على التعامل باحترام مع كل من يرغب في النشر وفق سياسة نشر معلنة، وحظيت بناء على ذلك بالتقدير لدورها، وتجسد ذلك في الدعوة إلى المشاركة في الملتقى المهم.

إن الاستمرار في النشر سنوات تسع، وبانتظام، يؤكد التزامي الشخصي بهذا المشروع الثقافي، ولكن الاستمرار غير ممكن بدون المساهمات التي يدل

وصولها شهريا على وجود حاجة لمنبر راق للنشر، وعلى سمعة حسنة تتسع دائرتها من خلال الكلمات الطيبة عن المجلة وتجربة النشر فيها.

كانت **عـود الـنـد** في السنوات الماضية وجهة العديد من الباحثات والباحثين المحترفين والكاتبات والكتاب المبتدئين. كثيرون نشروا فيها موضوعهم الأول، ولم يضطروا إلى الانتظار طويلا قبل نشره، ولم يتعرضوا للتجاهل. وقد نشأت بين كاتبات وكتاب **عـود الـنـد** صداقات آمل أن توضع في خدمة الارتقاء بمستويات الكتابة.

وأود أن أذكر الكاتبات والكتاب والقارئات والقراء بأن جميع أعداد المجلة متوفرة في موقعها، وهو الآن أرشيف حافل بالمواد ذات الفائدة للباحثات والباحثين، ومحبات ومحبي القراءة في موقع لا يرغمهم على التسجيل أو مشاهدة إعلانات.

وكاتبات وكتاب كل عدد أول من يعلم بصدوره من خلال رسالة خاصة، ونحن نرد على الاستفسارات رغم أن معظمها مكرر ووجود صفحة للإجابة عن الاستفسارات الشائعة. وتحرص **عـود الـنـد** على بقاء موقعها في ضيافة شركة جيدة تسارع إلى معالجة المشكلات التقنية عند حدوثها.

عـود الـنـد تطورت على مدى السنوات التسع الماضية، والمقارنة بين أعداد السنتين الأولى والتاسعة تبين مدى التطور في المحتوى. الجمود والسكون وصفة للانتحار. الأفضل لنا جميعا أن نجذف معا حتى لا يراوح المركب مكانه أو يغرق، وهذا يعني حرصا إضافيا من الكاتبات والكتاب، خاصة المبتدئين، على التطور، فإعطاء الفرص ومد يد العون لهم لا يمكن أن يكون بلا حدود.

وأود في ختام السنة التاسعة أن أشكر جميع الكاتبات والكتاب، والفنانات والفنانين التشكيليين الذين نستخدم أعمالهم على الغلاف، وكل من يقدم الدعم المعنوي للمجلة من خلال تعميم روابط المواد في مواقع التواصل

الاجتماعي، أو نشر أخبار صدور عدد جديد في الصحف والمواقع، أو من خلال الكلمات الطيبة التي تردني في رسائل خاصة.

وأتطلع إلى سنة أخرى من النشر الراقي، وآمل أن تنقلنا إلى مستوى آخر أعلى، وهذا غير ممكن إذا لم يحرص الكتاب والكاتبات على جودة ما يرسل من مواد، فنحن خط الدفاع الأخير المتعلق بتدقيق النصوص، ولا بد من الاعتياد على مراجعة النصوص قبل إرسالها للنشر، والاستعانة بالمراجع.

ما لا يقدره كثيرون أن النشر مسؤولية تحتاج إلى جهود كبيرة، فعملية تحرير النصوص وتدقيقها وحدها تحتاج إلى وقت وتركيز، ومع مرور الأيام تؤدي إلى ضعف البصر. ومع ذلك يستمر صدور **عـود الـنـد** شهرا بعد شهر. يحفزني على الاستمرار رغم المنغصات وأعباء المسؤولية وجود أشخاص ينطبق عليهم قول المتنبي «إذا أنت أكرمت الكريم ملكته»، فهؤلاء شركاء حقيقيون في هذه المبادرة الثقافية، واستمد منهم طاقة متجددة تعينني على مواصلة السير على هذا الدرب العسير، ولهم مني شكر إضافي خاص.

إن الاستمرار في الصدور المنتظم، ونشر محتوى ثقافي عالي الجودة بالعربية، يقدمان الدليل الملموس على أن العالم العربي غني بالمواهب والكفاءات، وأن العرب قادرون على تنفيذ مشاريع متسمة بالجودة دون موارد مالية كبيرة ودون استعانة بالخبرات الأجنبية.

الـعـدد 107: 2015/5

عـود الـنـد تكمل عامها العاشر

كلمة الـعـدد 120

قبل عشر سنوات، توكلت على الله وأصدرت الـعـدد الأول من مجلة ثقافية شهرية سميتها **عـود الـنـد**. لم أكن أعرف إن كان النجاح ينتظرها، فهي مبادرة فردية، وصدرت في عصر انتشار المواقع والمدونات الشخصية والكثير من المنتديات والمواقع الجماعية.

أقدمت على الخطوة بواقعية، مدركا أن أي مبادرة جديدة تحتاج إلى سنة ليتبين إن كان سيمكنها الاستمرار. وبعد اجتياز الشهور الستة الأولى، بشرت المؤشرات بالاستمرار عاما ثانيا، فالإقبال على النشر في المجلة كان يزيد كل شهر. وظلت الرحلة مستمرة إلى أن وصلنا هذه العلامة الفارقة: عشرة أعوام.

كتب لهذه المبادرة الثقافية النجاح والاستمرار عشر سنوات دون أن تكون صادرة عن هيئة رسمية، أو مؤسسة تجارية ودون أن تتلقى دعما ماليا من أي جهة رسمية أو غير رسمية، ودون السعي إلى مصدر تمويل من قبيل الرعاية أو الإعلانات.

أقول وأنا مطمئن إن **عـود الـنـد** حققت رقما قياسيا في أكثر من مجال، أولها أنها مجلة صدرت على أساس طوعي، غير تجاري وغير ربحي، واستمرت على هذا المنوال عشر سنوات كاملة. وثانيها أن الأعداد جميعا صدرت دون تأخير، بل صدرت في معظم الأحيان قبل الموعد الرسمي المعلن.

وبمناسبة إتمام عشر سنوات من النشر، أود أن أشكر الكاتبات والكتاب الذي شاركوا بالبحوث والمقالات والنصوص المتنوعة؛ والفنانات والفنانين التشكيليين الذي زينت أعمالهم غلاف المجلة؛ والقارئات والقراء الذي تابعوا أعدادها وشاركوا في التعليق على مواد المجلة؛ والصحفيات والصحفيين الذي نشروا أخبار صدور أعدادها المختلفة، أو سلطوا الضوء على تجربتها.

وأوجه شكرا إضافيا للزميلات والزملاء الذي كتبوا نصا احتفاء بهذه المناسبة، وهي منشورة في ملف خاص ضمن هذا الـعـدد.

ماذا عن المستقبل؟

عندما تقترب **عـود الـنـد** من إكمال عام من النشر، أغتنم المناسبة للنظر إلى ما مضى وإلى القادم، ولكني لا أكتفي بأفكاري ورؤيتي، بل أسعى إلى الحصول على وجهات نظر أخرى.

لكي نقدّر فترة عشرة أعوام حق قدرها، تخيل أن طفلك الأول قد ولد يوم ولدت **عـود الـنـد**، في حزيران (يونيو) 2006. طفلك سيكون اليوم أكمل الصف الرابع الابتدائي وسيكون في الصف الخامس قريبا. ولو أنهيت الثانوية أو البكالوريا ودخلت الجامعة يوم صدور **عـود الـنـد**، فمن المحتمل أنك اليوم من حملة درجة الدكتوراه، وحصلت على وظيفة أستاذ/ة في جامعة ما.

لقد استأنست بآراء مجموعة من الأشخاص خلال الشهور الماضية بشأن مستقبل **عـود الـنـد**، وعلى ضوء المشورة والتفكير العميق، استبعدت خيار إيقاف صدورها، علما بأني لو فعلت ذلك، سأكون مرتاح الضمير وراضيا كل الرضا عن إنجاز يتمثل في أرشيف ضخم مفتوح سيـبقى حاضرا في الفضاء الإلكتروني طالما أنا على قيد الحياة.

في المقابل، مواصلة الصدور شهريا خيار قاتل لي وحرمني من العمل على مشاريع يحتاج تنفيذها إلى المزيد من وقتي. ولذا الخيار الذي تبلور هو تحويل

عـود الـنـد إلى مجلة فصلية، تصدر أربع مرات في السنة، فهذه الصيغة تعني الاستمرار، ومزيدا من الوقت لي لحاجة العقل والجسد إلى ذلك.

للمجلات الفصلية سمة مختلفة عن الشهرية، ولدي بعض الأفكار بشأن محتوى الأعداد الفصلية القادمة، ولكني أرحب بتلقي المزيد من الأفكار والمقترحات.

لن استغرب طبعا أن يصدم هذا القرار الكثير من الزميلات والزملاء، ولكن «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها». فكر/ي في الأمر: عشر سنوات؛ مئة وعشرون عددا؛ مئات النصوص والمقالات والبحوث؛ مئات التعليقات؛ مئات الاستفسارات؛ أخبار عن صدور عدد جديد؛ رسائل إلكترونية للإعلان عن صدور عدد؛ موقع مجلة بحاجة إلى متابعة يومية. كل هذا قام به فرد واحد، بحافز ذاتي وعن طيب خاطر.

سنّة الحياة أن تتغير الأشياء، فلا الطفل يبقى طفلا، ولا الشاب يبقى شابا. ولذا تحول **عـود الـنـد** من مجلة شهرية إلى فصلية خطوة منطقية وواقعية في سياق طبيعة الحياة التي تتغير كل يوم، وخاصة في العصر الإلكتروني هذا. ولأن القرار ليس قرار توقف، فخيار العودة إلى الصدور الشهري يظل مفتوحا، ولكن بعد إعطاء الصيغة الجديدة فرصة مثلما حدث مع **عـود الـنـد** يوم قرار إصدارها في عام 2006.

الـعـدد 120: 2016/5

هـوامش ومراجع

الأدباء والمخابرات (الـعـدد 112: 2015/10)

[1] Stephens, Joe. «Love in the Time of Surveillance: FBI Agents Tracked Gabriel García Márquez.» *Washington Post* 4 Sept. 2015, Books sec. Web. 8 Sept. 2015.

http://www.washingtonpost.com/entertainmentooks/love-in-the-time-of-surveillance-fbi-agents-tracked-gabriel-garcia-marquez/2015/09/03/1ee7ba9a-4bfe-11e5-84df-923b3ef1a64b_story.html

[2] Ibid.

[3] Barret, David. «MI5 Spied on Novelist Doris Lessing for Decades, Files Disclose.» *The Telegraph* 21 Aug. 2015. Web. 8 Sept. 2015.

http://www.telegraph.co.uk/news/uknews/defence/11814819/MI5-spied-on-novelist-Doris-Lessing-for-decades-files-disclose.html

[4] Ibid.

[5] «Frederick Forsyth Reveals MI6 Spying past.» *BBC News*, 15 Aug. 2015. Web. 8 Sept. 2015.

http://www.bbc.co.uk/news/entertainment-arts-34101822

[6] Ibid.

روايات ذكرت في الموضوع

García Márquez, Gabriel. *Love in the Time of Cholera*. Translated by Edith Grossman. London: Cape, 1988.

Lessing, Doris. *The Grass Is Singing*. New York: Crowell, 1950.

التعليم بالعامية ونسب النجاح المتدنية (الـعـدد 111: 2015/9)

[1] صحيفة الحياة الجزائرية. «تدريس «الدارجة» في السنتين الأولى والثانية ابتدائي». 4 آب (أغسطس) 2015.

http://www.elhayat.net/article30876.html

[2] الهواري، عدلي. «تجدد الجدل حول العربية الفصحى والعامية». **عـود الـنـد**، الـعـدد 92، شباط (فبراير) 2014.

http://www.oudnad.net/spip.php?article1014

[3] صحيفة الدستور الأردنية، «التوجيهي»: 86 مـدرســـة «لم ينجح أحد». 30 تموز (يوليو) 2015.

http://www.addustour.com/17657/...BB.html

[4] صحيفة الدستور. نتائج امتحانات الثانوية العامة. 29 تموز(يوليو) 2015.

http://pdfstore.addustour.com/1/3/90/7-local-.pdf

الحق في التعليم في الاتفاقيات الدولية (العدد 118: 2016/3/8)

عناوين المواقع التي تمت الاستعانة بها:

= موقع مشروع الحق في التعليم:

http://r2e.gn.apc.org

= موقع مشروع الحق في التعليم، صحفة المواثيق الدولية:

http://r2e.gn.apc.org/ar/node/1645

= موقع جامعة منيسوتا، مكتبة حقوق الإنسان (بالعربية):

https://www1.umn.edu/humanrts/arabic

= موقع المفوض السامي لحقوق الإنسان:

http://www.ohchr.org/AR/Pages/home.aspx

= موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر (بالعربية):

https://www.icrc.org/ar

إضافة إلى العناوين أعلاه، يوجد في ختام كل مادة من مواد الـعـدد رابط أو أكثر للنص الكامل للوثيقة التي نقلت منها البنود الخاصة بالتعليم.

مواقع أخرى تعنى بالحق في التعليم:

= موقع يونيسكو (قسم يعنى بالحق في التعليم):

http://www.unesco.org/new/en/education/themes/leading-the-international-agenda/right-to-education/

= موقع الحق في التعليم:

http://www.right-to-education.org

المرأة والسلام (الـعـدد 115: 2016/1)

[1] قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1325. النص الكامل بالعربية متوفر على الرابط التالي:

http://www.un.org/womenwatch/ods/S-RES-1325(2000)-A.pdf

[2] المصدر السابق.

[3] اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا (ESCWA) التابعة للأمم المتحدة، «تحديد الفجوات التشريعيّة في تطبيق قرار مجلس الأمن 1325 (2000) حول المرأة والأمن والسلام في دول عربيّة مختارة»، ص vii. النص الكامل للدراسة بالعربية على الرابط التالي:

https://www.unescwa.org/sites/www.unescwa.org/files/publications/files/e_escwa_ecw_15_tp-4_a_0.pdf

[4] المصدر السابق، ص ص 19-20.

تصنيف الكتب على أساس الجنس (الـعـدد 94: 2014/4)

[1] موقع الحملة بخصوص الكتب:

http://www.lettoysbetoys.org.uk/time-to-let-books-be-books

[2] موقع الحملة بخصوص الألعاب:

http://www.lettoysbetoys.org.uk

[3] الموضوع المنشور في صحيفة ذا غارديان حول الحملة:

http://www.theguardian.comooks/2014/mar/16/campaign-gender-children-publishing-waterstones-malorie-blackman

[4] كتاب سيمون دو بوفار

Simone de Beauvoir, *The Second Sex* (New York: Vintage Books, 1973), p. 301.

Judith Butler. «Sex and Gender in Simone de Beauvoir's Second Sex», *Yale French Studies*, No. 72, Simone de Beauvoir: Witness to a Century (1986), pp. 3549.

توخيا للدقة، فإن الترجمة الإنجليزية تورد العبارة على النحو التالي:

«One is not born, but rather becomes, a woman».

والجوهر يعني العبارة كما هي شائعة ومستخدمة أعلاه.

الفقر والعدالة الاجتماعية (الـعـدد 104: 2015/2)

[1] David Donnison, D. *The Politics of Poverty*. (Oxford: Martin Robertson, 1982, p. 7.

[2] Fuentes-Nieva, R. and Galasso, N. *Working for the Few: Political Capture and Economic Inequality*. (Oxfam: Oxfam Briefing Paper, 2014). [Online]. Available at:

http://www.oxfam.org/sites/www.oxfam.org/filesp-working-for-few-political-capture-economic-inequality-200114-summ-en.pdf.

[3] Donnison, p. 8.

[4] Ibid.

[5] Paul Farmer, «10 Questions», *Time*, 13 May 2013, p. 56.

خمس سنوات على محاولات التغيير (الـعـدد 114: 2015/12)

[1] البنك الدولي، مرصد الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، تشرين الأول (أكتوبر) 2012، «التفاوتات والانتفاضات والصراع في العالم العربي»، على الرابط التالي:

http://www.albankaldawli.org/ar/news/feature/2015/10/21/middle-class-frustration-that-fueled-the-arab-spring

[2] Ianchovichina, Elena; Mottaghi, Lili; Devarajan, Shantayanan. 2015. *Inequality, uprisings, and conflict in the Arab World*. Middle East and North Africa (MENA) Economic Monitor. Washington, D.C.: World Bank Group, p. 34.

http://www-wds.worldbank.org/external/default/WDSContentServer/WDSPB/2015/10/19/090224b083155d51/2_0/Rendered/PDFnequality00up0ct0in0the0Arab0World.pdf

[3] المصدر السابق، ص 33.

المركزية الأوروبية بين الفرض والرفض (الـعـدد 91: 2014/1)

[1] للاطلاع على مناقشة لتعريف الديمقراطية، انظر/ي:

الهواري، ع. 2009. «الديمقراطية والإسلام: متعارضان؟». **عـود الـنـد**. الـعـدد 39، أيلول (سبتمبر) 2009.

http://www.oudnad.net/39/adli39.php

المراجع (جميعها بالإنجليزية)

Amin, S. 1989. *Eurocentrism*. New York: Monthly Review Press.

Beetham, D. ed. 1994. *Defining and Measuring Democracy*. Thousand Oaks: Sage Publications.

Geddes, B. 2004. «Authoritarian Breakdown» [Online] Available at:

http://www.international.ucla.edu/cms/files/authn_breakdown.pdf

Hitti, P. K. 1948. *The Arabs: A Short History*. London: Macmillan.

Huntington, S. P. 1993. «*The Clash of Civilisations*». *Foreign Affairs* 72(3), pp. 22-49.

Mouffe, C. 2008. «Which World Order: Cosmopolitan or Multipolar?» *Ethical Perspectives* 15(4), pp. 453-467.

Sadiki, L. 2004. *The Search for Arab Democracy: Discourses and Counter-Discourses*. London: Hurst & Co. Publishers.

Sadiki, L. 2009. *Rethinking Arab Democratization: Elections Without Democracy*. Oxford: Oxford University Press.

Said, E. 2001. «The Clash of Ignorance». *The Nation*, 4 Oct 2001.

Schmitt, C. 1996. *The Concept of the Political*. Chicago: University of Chicago Press.

إصدارات عـود الـنــد

الإصدارات الورقية: بالعربية

الهـواري، عـدلي. 2019. المجـلات الثقافيـة الرقميـة: تجربـة عـود النـد 2006-2019.

الهواري، عدلي. 2018. تقييم الديمقراطية في الأردن: 1990-2010.

الهواري، عدلي. 2018. الديمقراطية والإسلام في الأردن: 1990-2010.

الهـواري، عـدلي. 2017. بـيروت 1982: اليـوم «ي». الطبعـة الثانيـة. يتضمـن الكتـاب وثائـق ذات علاقـة بالجهـود السياسـية والدبلوماسـية للتوصـل إلى اتفـاق عـلى خـروج منظمـة التحريـر الفلسـطينية مـن بـيروت

الهـواري، عـدلي. 2016. كلـمات عــود الـنــد. افتتاحيـات مختـارة، السـنوات 8-10.

الهـواري، عـدلي. 2016. غسـان يبتسـم. افتتاحيـات مختـارة، السـنوات السـبع الأولى.

الهـواري، عـدلي. 2015. اتحـاد الطلبـة المغـدور. الطبعـة الثانيـة. كتـاب يوثـق تأسـيس وانهيـار الاتحـاد العـام لطلبـة فلسـطين في الولايـات المتحـدة.

الإصدارات الورقية: بالإنجليزية

Hawwari, A. 2020. *Reluctant Liberalisation, Jordan: A Democratic Audit, 1989-2019*.

Hawwari, A. 2020. *Controlled Democratisation: Democracy and Islam in Jordan, 1989-2019*.

Hawwari, A. 2016. *Democracy and Islam/ism*.

Hawwari, A. 2016. *Jordan: A Democratic Audit, 1990-2010*.

الإصدارات الرقمية: بالعربية

2015: مختـارات مـن عــود الـنــد (3): مقتطفـات مـن موضوعـات نشرت في المجلة.

2015: مختصر ومفيد. دروس موجزة في الإملاء والنحو.

2014: مختـارات مـن عــود الـنــد (2): مجموعـة ثانيـة مـن مقتطفـات مـن موضوعـات نـشرت في المجلـة.

2014: دليـل أساسـيات الكتابـة (أحـكام الطباعـة؛ علامـات التنقيـط؛ توثيـق البحـوث).

2014: غســان يبتســم: مختــارات مــن افتتاحيــات عــود الــنــد، الســنوات الأربــع الأولى.

2013: مختـارات مـن عــود الـنــد (1): مقتطفـات مـن موضوعـات نشرت في المجلة.